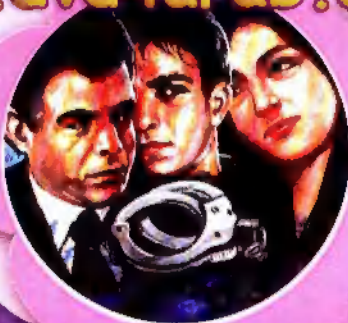


روايات مصرية للجيب

أغلى من الحب

Looloo

www.dvd4arab.com



فوزي عوض



الفصل الأول

خرج القاضى من قاعة الجلسة بآدى الإجهاد ، رغم أنه لم ينظر طوال اليوم سوى قضية واحدة ؛ ولكنها كانت قضية الموسم .. المتهم فيها طالب جامعى ثرى متهم بقتل صديقه بعد فشله فى إغواء خطيبته .. كانت جلسة عاصفة ، امتدت لأكثر من خمس ساعات ، غادر بعدها القاضى القاعة وأعصابه شبه محطمة ..

مضى فى (الكوريدور) المؤدى إلى استراحة القضاة ، فإذا بصوت حريمى رصين يناديه من خلفه :

- سيادة المستشار !

توقف القاضى ملتفتاً ، فإذا بامرأة رائعة الجمال ، تتم أناقتها ورسالتها عن وسطها الراقى .. راحت تتقدم منه بتؤدة ، وكأنها تغدو خطواتها ، حتى توقفت أمامه ، تحلق بعينيهما النجلوتين للجريئتين على وجهه لبرهة ، أردفت بعدها فى حميمية رصينة :

- كيف حالك ؟

ولم يملك القاضى الوسيم إلا أن يجيبها فى دهشة :

- الحمد لله يا أفندم .

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتمتدح إلى أخصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحب .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .
فبعد إلى أوراها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بماتين مزهرة ،
ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمضاء الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب
الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتبث الأزهر الياقة فى
صفور المشاعر الصلدة ..

إنها الأزهر التى ينشدها كل منا فى لحظت لئلى .. وفى لحظت الغضب ..
وفى لحظت الكراهية .. وفى لحظت الجفك .. فيشع عبرها الفواح فى ثلثنا ،
وتعد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايتنا .

إن الحب بمضاء الكبير .. ومضاء المسمى ، وبتمعه عن الألفية والفرغت
والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه لله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طفت فيه الأطعمة المادية والألفية الفربية ، نحن نحتاج
الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهر نستشيق
عبرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقى عولفتنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا نتنقل من زهرة إلى زهرة ..
فى بماتن ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهر الحب .

المؤلف

وسكت متطلعاً إليها فى تساؤل ، فإذا بالمرأة الحسناء لا تكف عن التحديق بنظراتها الجريئة على وجهه ، وكأنها تستنطقه ، فلم يملك إلا أن يسألها بدهشة :

- أية خدمة يا أفندم ؟

انساب فوق شفتيها طيف ابتسامة ، ثم أجابت سؤاله بسؤال :

- ألا تعرفنى يا سيادة المستشار ؟

وجد نفسه ينفق النظر فيها ، ثم يجيبها فى حرج :

- معذرة يا أفندم .

ولم يزد لها جوابه إلا تبسماً ، راحت بعده تحشد نظراتها فى عينيه ، بينما ارتفعت يدها ، لتخرج من صدرها سلسلة فضية ، تنكلى من عنقها ، منتهية بقلب صغير نقش عليه حرفا « M - G » ، ما إن وقع نظر القاضى عليهما حتى انتفض كل كيانه من المفاجأة ، وانفلتت منه غمضته الذاهلة :

- (ماجى) !

وكان رد المرأة بابتسامتها للرصينة :

- نعم يا (جلال) باشا ..

(ماجى) ..

وغرق للقاضى فى غمار المفاجأة ، وهو يحتق فى المرأة غير مصدق عينيه ، فإذا بها تريف قائلة بتبسمها الرصين :

- أنا فى انتظارك فى سيارتى أمام المحكمة .

واستدارت منصرفة بخطواتها الوئيدة ، دون انتظار لجوابه ..

لحظات وكانت المرأة الحسناء تتطلق بسيارتها الـ « جاجوار » ، بينما القاضى الوسيم جالس إلى جوارها ، لا يكاد يرفع عينيه عنها ، وقد احتشد فيهما ألف سؤال وسؤال ، ولا جواب من المرأة عنها جميعاً سوى ابتسامتها الرصينة المشفقة ، وهى تتطلق بالسيارة فى هدوء وتمكن زادها إثارة فوق إثارتها ..

كفت (ماجى) فى العند الرابع من عمرها ، ذات جمال زاعق يندر أن تفوز به امرأة ، وكانت أنافتها الطاغية ترتفع بجمالها إلى حد الأسطورة .. وكفت شخصيتها لا تقل إبهاراً عن مظهرها .. إنها دالما تتصرف وكأنها ملكة .. النظرة بحساب .. الكلمة بحساب .. الابتسامة بحساب .. وكل تصرف منها بحساب .. وكان ذلك إفرازاً طبيعياً لبينتها .. فهى ربيبة علة من أغنى عائلات « مصر » ، وأرملة تلجر سلاح مصرى عالمى ، كان يقيم بها فى « أمريكا » حتى وفاته منذ سبعة أعوام ، لم تظهر خلالها بـ « مصر » إلا اليوم ..

وكان ظهورها مفاجأة العمر للقاضى الوسيم ..

معقول !

معقول (ماجى) بعد كل هذه السنوات !؟

بعد ما يزيد على العشرين عاماً !؟

يااااه !!

حقاً طالما كان هناك بقاء فلابد من اللقاء ..

كان هذا أول ما حدث به القاضى الوسيم نفسه ، وهو يبعثر نظراته المشدوهة على وجه الحبيبة الفتاة العالدة من بعد غياب عشرين من الزمان .. عادت أجمل وأشهى وأغنى سحرًا ، وكان زيادة سنوات العمر لم تزدّها إلا سحرًا فوق سحرها الأصيل .. مما جعل الفتان القاضى الوسيم بها يسطع فى عينيه المحلقتين على وجهها ..

كان مثلها فى العقد الرابع من عمره ، ومثلها فى الوجاهة .. فوسامته مفرطة ، وأناقته مفرطة ، وقوة شخصيته مفرطة .. وكان معروفًا عنه أنه رجل خلق للنزاهة والنجاح منذ أن كان زميلًا لها فى كلية الحقوق .. ورغم أنه لم يكن من شلتها فى الكلية ، إلا أن حديث الفتيات عن وسامته ، وعزوفه عنهن اهتمامًا بدراسته لغت نظرها إليه لتجد نفسها مدفوعة إلى التعرف عليه .. فلم تضيق وقتًا .. توقفت بسيارتها الشيك أمامه ، وهو يقف بمحطة الأتوبيس المواجهة لبوابة الجامعة ، ودعته إلى الركوب ، ليجد نفسه متعلقًا إليها فى دهشة ..

روايات مصرية للجيب

نعم ، هى زميلة له فى المدرج ، ولكن لا تربطه بها أية معلمة ، اللهم إلا نظرة إعجاب تنقلت منه كلما وقعت عيناه عليها بين شلتها ، فقد كان جمالها طاغيًا ملفتًا للنظر ، إلى الحد الذى كان يجتهد بشساعل فى نفسه كلما وقعت عيناه عليها : أى رجل هذا الذى سيفوز بكل هذا الجمال ؟ وما كان يخطر له فى أكثر أحلامه استحالة أن يكون هو هذا المحفوظ .. فها هو الجمال المستحيل بنفسه يدعوهُ إلى صحبتِهِ ، ولا يدري بماذا يجيبه .. ظل يُطلع إليها بدهشته التى ألجمت لسانه ، حتى أفاق على صوته المغمم بشقاوتها :

- ماذا يا متر ؟ ألم تسمعنى ؟

اركب ..

ولم يملك المحفوظ إلا تلبية الدعوة ، لتبدأ قصة الحب ، التى صارت حديث الكلية والجامعة بأسرها .. حديث غلبت عليه الدهشة والتعجب .. فالكُل وجد نفسه ينظر بإعجاب إلى ابن عذبة « الهجاة » الذى استطاع أن يوقع بهذه السمات العالية ابنة « الزمالك » فى شبابه ..

ونفس هذا الكل راح يتندر بحماسة هذه السمات العالية التى نزلت بنفسها إلى مستوى العزب .. ولكن لا أحد من هذا الكل كان يجروُ على مواجهة الحبيبين الطائرين بشيء من هذين الرايين .. واكتفوا جميعًا بالمرآة على نهاية هذا المشوار ، واتقسموا فى

ذلك إلى فريقين .. أغلبية راهنت على فشله ، وأقلية راهنت على نجاحه .. وراح الفريقان ينتظران ، ولم يطل انتظارهما .. فما هو إلا شهر واحد عقب نجاح الحبيين في اللبستس حتى دوت للنهاية على صفحات الصحف والمجلات .. تم عقد قران الآسفة «ماجى الدهشورى» على رجل أعمال مصرى مقيم فى «أمريكا» ، أخذها وطار إلى «نيوجيرسى» عقب حفل الزفاف مباشرة !!

وكانت صدمة العمر أن تذهب بعقل ابن «الهبانة» ، وتقضى عليه ، لولا أن أباه ابن البلد القوى أسرع يستنهض فيه رجولته وكرامته ، ليحول الأمر بداخله إلى قضية كرامة .. كرامة من لا يملكون سوى كرامتهم .. وكرامتهم فى صلابتهم .. فى تفوقهم ... فى تقدمهم الصفوف .. على هؤلاء الذى يتوهمون أنفسهم بأموالهم أسبداً ، باستطاعتهم النهو بمشاعر الناس ، ويفوتهم أن مجرد أوهامهم هذه تكشف حقيقتهم كعبيد مقنعين بثراتهم ..

وينجح الأب فى استنهاض ابنه من كبوته الطاحنة ، وفى شد عزمته .. وينهض الابن منتظماً جواد للحياة ، فإذا به يتلقى أولى ثمار نهوضه .. تعيينه فى النيابة العامة .. وإذا بالثمار الطيبة تتوالى ، فيتزوج من فتاة طيبة من عائلة كريمة تفسره حباً ، وتتجب له طفلة جميلة ، تكتمل بها سعادتُهما ..

ولكن السعادة إذا ما اكتملت غربت ..

خطف طائر الموت الزوجة المحبة الطيبة قبل أن تكمل طفلتها عامها السابع ، ليجد رئيس النيابة نفسه أرملاً فى ريعان شبابه ، وفى رقبته طفلة يتيمة ..

ومرة أخرى أسرع الأب ابن البلد القوى يأخذ بيد ابنه قبل أن يسقط فى قاع المحنة .. ومرة أخرى نجح فى استنهاضه من كبوته ، وفى إعادته فارساً عفيفاً فوق جواد الحياة .. ومرة أخرى عاد الابن الطيب يتلقى ثمرة نهوضه من كبوته ، فلم يكد يمضى عليه عامان حتى كان يُنصب قاضياً ، ليواصل جواده الانطلاق به على درب النجاح حتى وجد نفسه يتبوأ مقعد رئيس محكمة الجنايات قبل أن يتم عامه الخامس والأربعين ..

مشوار طويل شاق ، حافل بمحطات النجاح والكبوات والفرح والعذاب ، جعل «جلال» يُلّف سنة محطات الحياة ، فراح يتطلع - كلما خلا إلى نفسه - إلى المحطة الجديدة القادمة .. ولم يكن يدرى لها محطة قديمة .. لقم محطات حرقه ، وأشدها نحتاً فى نفسه على الإطلاق ..

محطة تحمل عبق الحب ..

وبصمة الغر ..

وحيرة للتساؤلات المؤلمة الذاهلة التى لم تجد لها أجوبة منذ عشرين عاماً وحتى الآن !!!

محطة ثقيلة ، ثقل ما فيها من مرارة ومن آثين .. فما الداعي إلى بعثها الآن ؟

هكذا وجد القاضي الوسيم نفسه يتطلع بمنتهى الحيرة والدهشة إلى الحبيبة العائدة ، وهو يجلس أمامها حول إحدى موائد « موفنبك » ، بينما هي تتلقى نظراته المشدودة الحائرة بابتسامتها الرصينة المشفقة ، حتى وضع الجرسون مشروبيهما أمامهما والتصرف ، فإذا بها تنظر في ساعتها ، ثم تبادلته قائلة :
- يا سيادة المستشار .. أنا معك من « ٣٣ » دقيقة ، وبعد « ٢٢ » سنة فراق ، ولم أسمع منك كلمة ترحيب واحدة .

فوجئ بطريقة عتابها ، فكان رده معجباً :

- يا له من عتاب أمريكيتي .

ثم أردف باسمًا :

- حمد لله على السلامة .

ابتسمت وهي ترفع كأس عصيرها إلى شفيتها .. أخذت منه رشفة رقيقة ، ثم أعدته إلى مكانه مداعبة :

- هل المناصب تغير الناس هكذا ؟

سلامك البارد خبيب ظني .

لم يملك إلا أن يبتسم للبلقطة .. من يومها وهي تحسن التعبير عما تشعر به .. أخذ رشفة من قهوته ، ثم سألها :

- متى وصلت ؟

- اليوم .. من ثلاث ساعات فقط ..

قطب جبينه دهشة :

- من ثلاث ساعات وجئت لملأقتي ؟

وكان ردّها مبتسمة :

- أرايت ؟ ترمومتري لم يهبط بعد ..

تفلفت منه ابتسامته الفالحة بشيء من المخربة :

- مع أن الغرب ليس به سوى البرودة ..

كادت تنفلت منها ضحكتها ، لولا أنها سارعت بكتمتها ، مما جعله يسألها :

- هل قلت ما يضعك إلى هذا الحد ؟

- بل ذكرتني بمثل شعبي كثيرًا ما كنت تردده لي أيام الجامعة « لا يأتي من الغرب شيء يمس القلب » .

- مثل أمي الله يرحمها .

- يخيل إلى أنك عانيتى به وأنت تذكر برودة الغرب ..

هم بأن يجيبها بشيء ، فإذا بها تقاطعه بلهجة بنت البلد :

- عموماً لطمئن يا سيادة للمستشار .. أنا «ماجى الدهشورى» ..

مصرية أباً عن جد .. فى الشرق مصرية ، وفى الغرب مصرية ..

بل وللبس مقل على قطعة مصرية تحمل كل سحر « مصر »

وعظمتها ..

وفوجئ القاضى ..

فوجئ باللهجة ..

وبالرسالة ..

وبالمنظرة الساخنة التى حملت الرسالة إلى عينيه مباشرة ..

أهذه هى «ماجى» بنت الذوات ؟!

ومن أين أنت بهذه القدرة على التلون ؟!

وارتسمت دهشته جنية على وجهه ، فإذا بشيء من المرارة

ينساب على وجهها وفى نبرتها ، وهى تقول له :

- أنا ملتصقة لك العذر ..

وتحركات مرارته هو أيضاً :

- فبم بالضبط ؟

- فى كل ما يجول بخاطرنا الآن ، وفى فكرتك على ..

طفحت مرارته :

- فكرتى لم تأت من فراغ يا «ماجى» هاتم ..

- لذلك ألتصق لك العذر ..

وبنت وكأنها تتعرض لهجمة ألم شرسة ، جعتها تطرق بعينها

إلى كأس العصير لوهلة ، رفعت بعدها عينها إليه قائلة فى شبه

رجاء :

- شيء واحد فقط أريدك أن تصدقنى فيه يا (جلال) ، وهو

أنى لم أفرط للحظة فى حبنى لك ..

انفثت منه ابتسامة هى السخريّة بعينها :

- لم تفرطى فى حبنى وتزوجت غيرى !

- لم يكن زواجاً يا (جلال) ..

- ماذا كان إذن ؟ إشاعة ؟

- بل صفقة ..

انفثت سخريته من عقابها :

- آه .. الأسطوانة المشروخة إياها .. البنت التي تزوجت ثريًا
لتنقذ أبيها أو عائلتها من الإفلاس !!

جرحتها كلماته ولهجته ، ولكنها لم تملك إلا ابتلاعها كي
يمكنها مواصلة الذود عن نفسها .. تطلعت إليه قلقة بمرارتها :

- هو ذاك يا سيادة المستشار ، ولكنها ليست أسطوانة ، بل
حقيقة ثابتة .. ويمكنك التأكد منها .

- التأكد منها ؟ التأكد منها بعد أكثر من عشرين عامًا ؟

- هذه أمور لا تموت يا سيادة المستشار .

وإذا بالمفاجأة التي أطلعت بقرف المستشار ونقمة على الفور ،
مفسحة المجال بداخله إلى الشعور بتصديقها .. إنها الدموع التي
ظهرت في عيني المرأة الأبعد ما تكون عن الدموع والبكاء ..

دموع منيرة تتساب من العينين القويتين اللتين لم يكسرهما
الأنجم يوماً ما ..

ها هو وجه حبيبة الماضي يحتقن ألماً ، فيبدو مثيراً للشفقة ..

ها هي علامات الضعف تعصر ملامحها الرقيقة بلارحمة ،
فتبدو كمصفور يُذبح ..

الحزن والألم والضعف إذا ما اجتمعوا على وجه امرأة حركوا
أشد القلوب قسوة ، فما اللبال بقلب عاشق قديم ؟

وجد نفسه يناولها منديل به قلب خافق .. انتظرها حتى جففت
دموعها ، ثم يلذها في خجل وإحساس بالذنب :

- أنا آسف .

وكان جوابها في حزن :

- لا عليك .. هذا قدرى ، وأنا راضية به .

رفع يده لها بكأسها في حنو :

- اشربي العصير كي تهدأ أعصابك ..

تناولته منه ، وهى تقول له معتررة :

- أنا الآسفة .. جددت ألامك .

وإذا برد القاضى الوسيم برصاة لا تخفى شقاوته :

- إذن فعليك مداواتى منها .

وإذا برد الحبيبة العائدة بمنتهى الجنية .

- ما عدت إلا لهذا يا سيادة المستشار .

وفوجئ للقاضى بجوابها وبجديتها :

.. ماذا تعنين يا (ماجى) ؟

.. أغنى ما قلته يا (جلال) .. أنا التى جرحتك ، وأنا المزمرة بمداد جرحك .. هل تمنحني الفرصة ؟
وجاءها جوابه ، نظرة حيرة عكست تأرجح وجدانه كله بين الخوف والرجاء .

الفصل الثانى

بدأت قاعة الجلسة وكأنها ليس بها مكان للقدم .. اكتظمت بنوى المتهم والقنيل وأصدقائهما وجيرانهما ، وبالجمهور للظير الذى جلبته وسائل الإعلام بتحويلها للقضية إلى قضية رأى علم ..

وكان السواد الأعظم من الحضور يقفون بسخط عاتٍ على القاتل ابن الذوات .. نوطاته أديهم لمزقه إربا إربا ، تنقلما منه ، ومن نخبته كلها ، ومن هنا راحت نظراتهم النارية تنتهمه وهو يتحدث إلى أصدقائه من داخل القفص ، غير مبالي بهذه النظرات ، ولا بأصحابها ولا بسخطهم .. بل إنه من لحظة لأخرى كان يرميهم بنظرة عجيبة تشير حفيظتهم ودهشتهم .. نظرة توحى بأنه غير نادم على جريمته البشعة ، بل متباه بها .. وفى الحقيقة كان نصيب كبير من شعوره قريبا جدا إلى هذا .. كان شعور من فعل ما لا يجزئ سواه على فعله ، أى شعور بالزهو ، وكأن ما فعله بطولية ، وليس عارا يندى له الجبين خجلا .. شيطانه صور له هذا ، وأعماه عن بشاعة ما اقترفت

يداه ، وأعماه عما يمكن أن ينتهي إليه مصيره ؛ ومن هنا كان هذا الاطمئنان العجيب الذى يملؤه وهو يتحدث إلى أصدقائه من داخل قصصه .. اطمئنان أقرب إلى الثقة بأن القضية يرمتها ليست سوى فرقة إعلامية ستنتهى بفلاته منها ، وإلا ما فائدة أباطرة المحامين هؤلاء الذين يتولون الدفاع عنه ؟ شأن منهم قاضيان سابقان ، والثالث كان أستاذًا لرئيس المحكمة الذى يتولى القضية ..

إن فأتين ستذهب البراءة منه ؟

هكذا وقف قاتل الموسم داخل قصصه متعاسكًا مطمئنًا .. إنه طالب بالـ «مؤذن أكاديمك» ، قوى البنية ، ومسيم الملامح ، يكاد يكون فى شكله نسخة كربونية من النجم الشاب «كريم عبد العزيز» .. ناوله أحد أصدقائه الواقفين معه سيجارة ، فأسطها بهدونه ، بينما سألته صديقة :

— ألم تعد مامتك بعد يا (رامى) ؟

وكان جواب (رامى) نظرة مرارة مرسلّة فى دخان السيجارة المنطلق من أفقه ، مما جعل الفتاة تتسائل فى دهشة :

— معقول ! أم لا تهرع إلى ابنها فى ظروف كهذه ؟!

وكان ردّ الفتى بمرارته :

— وماذا تتوقعين من أم لا يربطها بابنها سوى جسر من الأموال ؟

وما كاد يتم جوابه حتى دوى صوت — حاجب الجلسة :

— محكمة !

وأطبق السكون على القاعة ، ودخلت هيئة المحكمة متخذة أماكنها .. وللحظات راح المستشار (جلال عبد الباسط) ينظر فى ملف القضية ، ثم رفع وجهه طالبًا الشاهدة الأولى فيها ..

ونودى عليها ، فتخلت .. فتاة جميلة أطفأها الحزن الشديد البادى عليها ، والثياب السوداء التى ترتديها .. تلقّاها القاضى بنظرة مشفقة ، ثم بادرها متسائلًا :

- اسمك وسنك وغوثك ؟

- (إيمان أحمد عيد) .. ٢١ سنة .. ٢٢ شارع المدرسة ...
إمبابة .

- هل تعملين يا (إيمان) ؟

- نعم يا أختي .. بقعة أنوية في صيدلية .

- أنت خطيبة المجنى عليه « طاهر سعيد رجب » ؟

- نعم يا أختي .

- وما علاقتك بالمتهم ؟

وجدت نفسها تتلفت نحو المتهم الواقف في القفص ، تحدجه
بنظرة سخط دامعة ، تحرك معها سخط كل الموجودين في القاعة ،
مما اضطر القاضي إلى تكرار سؤاله لها :

- ما علاقتك بالمتهم يا (إيمان) ؟

انقلب سخط (إيمان) كله إلى احتقار ، راحت تصبه بعينيها
على المتهم ، وهي تجيب للقاضي :

- أنا لا يمكن أن تربطني علاقة بهذه الأشكال يا حضرة
القاضي .

والتفتت إلى القاضي وهي تمشح بدموعها ، ثم أرفقت قلقة :

- كان صديقاً للمرحوم خطيبى .

- وما الذى حدث بينهما ؟

انفلتت منها مرة أخرى نظرتها الساخطة إلى المتهم ، ثم
أجابته القاضي بحزنها :

- سأروى لسيفتك الحكاية من بدايتها يا حضرة القاضي .

- تفضلى .

أطرقت لبرهة ، مستحضرة تركيزها ، ثم شرعت فى
روايتها :

- بعد خطبتي للمرحوم بأسبوع تقريباً ، دعانى إلى حفل عيد
ميلاد صديق له فذهبت معه ، لأجد نفسى فى فيلا فخمة فى
« المقطم » ، تعج بشباب وفتيات فى منتهى الإحلال ، فلأدبت
صديقى للمرحوم ، ورغبتى فى الانصراف ، فبأذا بصديقه صاحب
عيد الميلاد ، وصاحب الفيلا ، والذى عرفنى به المرحوم عند
استقباله لنا بشارع باستضافتنا بمقرنا فى « فراتدة » الفيلا ؛
وراح يقوم معنا بواجب الضيافة حتى انصرفنا .

هنا قاطعها القاضي متسبلاً :

- صديقه هذا هو المتهم ؟

- نعم يا حضرة القاضي .

- أكملى .

- فى طريق عودتنا من الحفل ، لم أستطع تكتم السؤال الذى كان يشغلنى من لحظة دخولى القفلا ، وهو ما الذى يربط خطيبي المعروف بأبيه والتزامه بشباب من هذا الصنف ؟ وكان جواب خطيبي أنه صاحب المطعم السياحى الذى يعمل به ، وهذا ما يضطره إلى مجاراته فى بعض المجالات .. فالتصمت له العز ، واعتبرت الأمر منتهياً عند هذا الحد .. ولكننى ما لبثت أن اكتشفت أنها البداية ، وليست النهاية ..

- كيف ؟

- قبل أن ينتهى اليوم التالى لهذا للتعارف المشنوم ، فوجئت بـ (رامى) يحضر إلى فى الصيدلية ، وبغازلى بوقاحة ، بل ويطلب منى الخروج معه منفردين ، وكان ردى عليه أن طرده نون أن أرفع صوتى حتى لا تحدث شوشرة فى الصيدلية ،

فإذا بجوابه بمفتهى البرود أنه سيمر على غدا ، واستدار منصرفاً ..

وسكنت (إيمان) قليلاً من فرط كدها ، ثم عادت تواصل روايتها :

- ومن هنا بدأت مضايقات (رامى) لى .. وفى البداية رحمت أنكم هذه المضايقات عن خطيبي ، حتى لا أتسبب له فى مشكلة ، وفى الوقت ذاته رحمت أحاول ردع (رامى) ، ولكنه لهذا لم يرتدع ، بل راح يتمادى فى قلاته وسخافاتة متجاوزاً كل الحدود ، فلم أجد أمامى مفرّاً من مصارحة خطيبي ، ليحدث ما كنت أخشاه من بداية الأمر ، وحاولت جاهدة تجنبه .. استشاط المرحوم غضباً ، ولتطلق إلى (رامى) فى المطعم ، حيث اشتبك معه فى عراك عنيف ، تضامن فيه عمال المطعم مع (رامى) معتدين بالضرب على المرحوم ، فلم يملك المرحوم إلا أن يرد الإهانة لـ (رامى) بقوله له على أمام جميع الموجودين بالمطعم : « بكفى أنها تحببى أنا ، وتحترق أنت مثل الكلب » .

- وهل حضرت أنت هذه الواقعة ؟

- نعم يا حضرة القاضى ، فقد جريت فى إثر المرحوم عندما انطلق بفضبه إلى المطعم ، بل إننى بصقت على هذا الحفير وسط مطعمه ، وأمام الجميع ، فإذا به يوجينسى قهلاً «يومنا ماسينالى» ، ولو اضطر إلى قتله .. وراح ينظر إلى المرحوم متوعداً ..

التفت القاضى إلى المتهم يسأله :

- أنت قلت هذا يا (رامى) ؟

وجاء ردّ المتهم بوقاحة :

- كنت أرد على بصلتها على ..

عاد القاضى بهزئيه إلى الفتاة :

- ثم ماذا يا (إيمان) ؟

- اتصرفت أنا والمرحوم ، والذى قرر بالطبع عدم العمل فى مطعم هذا الحفير مرة أخرى ، ولينته أنا فى ذلك ، حتى نغلق الباب الذى تأتون منه للريح ، ولكن للريح لبت أن تتركنا .

- كيف ؟

- بعد ذلك بأربعة أيام ، وفى ليلة المشنومة حضر المرحوم إلى الصينية فى العاشرة مساءً تقريباً ، ليصحبنى إلى منزلى كعادته ، ولكن ما إن ابتعدنا عن الصينية لبضعة أمتار ، حتى فوجئنا بسيارة (رامى) تقطع علينا الطريق ، و(رامى) ينزل منها ، لينزل فى وصلة اعتذارات مكثفة ، لم يترك فيها كلمة اعتذار لو ندم إلا واستخدمها .. وبطريقة بلغت حد التوسل ..

وأسقط فى يدي ..

ولم ندر بماذا نجيبه ؟!

بينما مضى هو يعتذر ويعتذر ، ويبرر ، ويتوسل ، حتى شعرنا وكأنه سيبرى ، فلم أدر بنفسى إلا وأنا أجيبه : بلأنا سامحناه ..

وليتقطعا منى المرحوم ، فبيتسم له صافحاً عنه ، فبتعتقان فى حرارة .. ونركب ثلاثتنا السيارة حيث تنزهنا قليلاً ، قبل أن يوصلانى إلى منزلى ، ثم انصرفا مفاً ، ولم أكن أدرى أنها ستكون آخر مرة أرى فيها حبيبى .

واختلق صوت الفتاة الحزينة بالدموع ، فلم يملك القاضى إلا أن ينتظر قليلاً حتى تهدأ ، ثم عاد يسألها :

- ماذا حدث بعد ذلك ؟

- بمجرد أن دخلت شققنا اتصلت بـ (طاهر) ، فأخبرني بأنه سيسهر قليلاً مع (رامي) فى المطعم . وطماننى عليه ، فتناولت عشاءى مع بابا وماما وإخوتى ، ثم أويت إلى فراشى ، وذهبت فى النوم .. ولكن ماهما إلا ساعتان تقريباً حتى وجدتني انتفض من الفراش مقبوضة القلب .. فقد داهمنى هاجس فظيع بأن حبيبى يتعرض لمكروه .. أسرعت اتصل به على (الموبيل) ، فإذا بتليفونه مطلق على غير العادة .. ازداد فزعى عليه .. أسرعت اتصل به على تليفون أخته التى يقيم معها ، فإذا بها تخبرني بأنه لم يعد بعد ، وبأنها فى غاية القلق عليه بسبب إغلاقه (موبيله) ، فأخبرتها بحكية (رامي) ، وطلبت منها رقم (موبيله) ، وأسرعت بالاتصال به ، فإذا به يخبرني بأن (طاهر) لم يبق معه سوى نصف ساعة ، اتصرف بعدها .. هنا تحرك الشك فى قلبى تجاه (رامي) .. وعدت مرة أخرى لأحاول مع (موبيل) المرحوم تارة ، واتصل بأخته تارة أخرى ، حتى طلع النهار ، فأسرعت إلى أخته ، وانطلقتنا معا إلى قسم البوليس لنبلغه .

وهنا هاجت دموع الفتاة مندفعة من عينيها ، فقد هاجمتها الذكرى السوداء ، وهى تردف منهيّة روايتها للقضى :

- وبينما نحن فى القسم وصلت إشارة بالعمور على جثة المرحوم فى صحراء الهرم ، فهرعنا مع البوليس ، لنجد حبيبى مذبحاً وممزقاً بمنتهى الوحشية .

وتفجر نحيب الفتاة ، حتى بدت وكائها تنسقط فى مكائها ، فإذا بها تلقت إلى المتهم اللواقف فى القفص .. وبدموعها المتدفقة من عينيها كاشلالات ، وبغابها الضارى الذى يفرسها بلا رحمة .. وبالنار الشعواء التى تشوى قلبها راحت تسأله :

- لماذا ؟؟

لماذا ؟؟

أليس إسماع مثلك ؟؟

ماذا فعل بك كى تفعل به هذا ؟؟

وكيف هان عليك أن تفعله ؟؟

كيف هان عليك أن تغرس مطوئك فى لحمه ؟؟

إن تذبحه ككشاه ؟!

إن تمزقه وكله لحم يؤكل ؟!

كيف ؟

كيف ؟

الله يلعك .. الله يلعك ..

واندفعت الفتاة تصب عليه لعنات الله وسخطه ، وهي تزداد
انهياراً حتى هوت على الأرض فاقدة للحراك لينفجر للبركان في
القاعة منظرًا بكارثة ، لولا مصارعة رجال الأمن بلمتواء الموقف
بمنتهى الحسم ، ومصارعة المصنفشر (جلال عبد الباسط) برفع
الجلسة .

الفصل الثالث

فتح القاضي الوسيم عينيه على تدام ملاكه الصغير الذي
يذوب فيه حبًا :

- بابا .. بابا .

أضاعت ابتسامته العسوة وجهه .. إنها حبيبته وروحه
التي تسمى على قدمين ، وحيثه (شيماء) - أخذها في حضنه
مجيئًا :

- حبيبتي بابا .

- في الصالون سيدة حلوة تسأل عنك .

نهض من فراشه مرتدبًا روبه الصوف ، ومضى أخذًا ملاكه
للصغير في يده ، ليفاجأ بآخر ما يمكنه توقعه ..

(ملجى) !!

(ملجى) تجلس مع والده !

تسمرت عيناه عليها فى دهشة وفرحة غمرتاه كالطوفان ،
وجعلتا الضيفة الفاتنة تبتسم متسائلة وهى تنهض لملاقته :

- مارأيك فى هذه المفاجأة يا سيادة المستشار ؟

ولم ينبس المستشار ببنت شفة ..

فقط راح يحلق على وجهها للفطن بنظراته الماخوذة بالمفاجأة ،
مما جعل والده يتدخل متسائلاً ، وهو ينهض مبتسماً :

- ما هذا يا سيادة المستشار ؟ ألن ترحب بضيفتك ؟

ثم إذا به يلتفت إلى الضيفة الفاتنة ، ليقول لها بشقاوة
العواجز الجميلة :

- بإذنك يا جميل ، فلربما يكون وجودى سبباً فى « لخمته »
هذه !

واستدار العجوز الطيب ماضياً إلى غرفته بـ « شيماء » .
فإذا بالضيفة الفاتنة تكنو من القاضى الوسيم الفارق فى دهشته
حتى كادت تلتصق به ، ثم راحت للحظة تحلق على وجهه
بعينها الجريئتين الفاتنتين ، لتسأله بعدها فى خفوت أقرب
إلى الهمس :

- أترأى حقاً ضيفتك كما قال بابا ؟ أم أكثر من ذلك ؟

وسكنت غائصة بنظراتها النارية فى عينيه ، مفتتشة عن
جواب سؤالها .. ثم إذا بها تقول له بخفوتها الأكثر سخونة من
نظراتها المغروسة فى عينيه :

- أنا جئعة ..

هنا فقط أدركته الكلمات ، فكان جوابه لها ، وهو شبه مخدر ،
- حالاً سأبدل ثيابى ، ونذهب إلى أقرب فندق .

وإذا بردها مسبوقةً بطقطقة نفى من شفتيها الفاريتين :

- بل سنأكل هنا ، ومن عمل يدى .

وللمرة الثانية ضربت الدهشة القاضى الوسيم بمنتهى العنف ،
ومع ذلك أردفت بالضيفة الفاتنة متسائلة ، وهى تنزع عنها
معطفها الفرو ، وكأنها لم تر شيئاً من دهشته !

- أين المطبخ ؟

ولم يستطع للرجل أن يتمالك دهشته أكثر من ذلك !

- (ماجى) !

وكان رد الضيفة للفتنة أن سارعت بوضع أصبعها على شفتيه لإسكاته ، ثم لتقول له بلهيب أدوتتها :

- خذنى إلى المطبخ .

ولم يملك الرجل إلا أن يقودها إلى المطبخ كالمسحور .. وإذا بهنت الذوات ربيبة أكبر وأعرق عائلات البلد تتحول فى طرفة عين إلى ربة منزل من الدرجة الأولى .. انطلقت تفتح الثلاجة ، وتخرج ما فى جوفها من لحوم وخضراوات . وتبسط الآوانى أمامها « وتدير الخلط ، وتشعل للبوتهلج ، وتملأ المطبخ حركة .

يا الله !!

خمس سنوات كاملة والمenzل محروم من هذا .. من نفس امرأة جميلة ، حتى غدا كالتكنة العسكرية .. صحيح أن هناك خادمة تأتى ثلاثة أيام فى الأسبوع ، ولكن ذلك لم يضيف على الشقة أى إحساس بوجود امرأة .. هو فى الأصل لا يكاد يراها ، فغالبا ما تأتى وتنصرف أثناء عمله بالمحكمة ، ولكن ها هو الحال يتبدل فى لحظة .. ها هى الحياة الحلوة تدب فى التكنة العسكرية الجافة ، فتردها إلى أصلها ..

جنة ، وألفة ، جميلة ، بهيجة ، يغرد فيها طفر الحياة ، وتسعى فيها امرأة ..

وليه امرأة !

إنها (ملجى) !!

« ملجى الدهشورى » !

الملكة المتوجة على عرش الجمال والأكولة فى عالم بنات الذوات ..

ها هى فى بيته !!

فى مطبخه !!

فى خدمته !!

ها هو الحلم الجميل الذى تبخر ذات يوم بعيد « مغلفا وراءه كابوسا فظيحا خلتا ، يعود حقيقة أجمل وأشهى من الحلم الذى كان اضعاغا مضاعفا !

معقول هذا ؟!

هكذا راح القاضى العاشق المبهور يتسائل فى نفسه « وهو يلاحق حبيبته للفتنة بنت الذوات بنظرته وهى تسعى فى المطبخ

برشاقة مذهشة .. حتى كاد قلبه الظالم يفتقر من بين ضلوعه مرقرفاً ، مغرذاً ، مطبقاً عليها بظمنه يريد الارتواء ، بينما العقل الذاهل يتساءل بذهوله يريد الاطمئنان :

حلم هذا أم حقيقة ؟

من يجيبه ؟

من ؟

وإذا بالجواب يأتيه من خلفه :

- ما هذا النور .

إله أبوه العجوز الطيب ، وقد غمرته ابتسامة عريضة فاض بها قلبه ، وهو يردف قللاً بسعادة طاغية ، وعينه على الفتنة التي تملأ المطبخ حركة :

- والله زمان .

وإذا بـ (شيماء) تتقدم من (ماجى) قائلة لها ببراعتها العصفورية :

- ممكن أساعدك يا طنط ؟

لما كان من (ماجى) إلا أنها رفعتها فى حضنها قائلة لها بمنتهى الحنو :

- ماما .. قولى ماما ، لا طنط .

وإذا بالطفلة الجميلة الملائكية تعيد سؤالها :

- ممكن أساعدك يا ماما ■

وكان ردّ (ماجى) « وهى تنهال عليها بالقبلات :

- طبعاً يا حبيبة ماما ..

طبعاً ..

- ماذا أفعل يا ماما ؟

- ترافقينى وتتطين منى يا حبيبة ماما ..

حلم أم حقيقة ؟

ما زال القاضى الوسيم واقفاً بباب المطبخ يتأمل ما يجرى أمام عينيه بطوفان ذهوله ، حتى ألغى على صوت بنت الذوات الفتنة تسأله بشقاوتها الأكثر فتنة وهى تنزل (شيماء) من حضنها :

- ماذا يا « جنجل » ؟ هل مستظل متمسراً فى مكثك هكذا ؟
خذ بابا وشاهدا التليفزيون ، حتى نفرغ أنا و« شوشو » من
مهمتنا .

فوجئ الحاج (عبد الباسط) :

- التليفزيون !!

ودهشت (ماجى) :

- ماذا يا بابا ؟! أليس لديكم تليفزيون

وكان جواب الحاج (عبد الباسط) بدهشته :

- لدينا تليفزيون معلق منذ خمس سنوات .

ازدادت دهشتها :

- لماذا ؟

ولم يجد العجوز الطيب ما يجيبها به ، فالتفت إلى ابنه متبادلاً
معه نظرة الدهشة ، فإذا بالمرأة الفتاة تمرق من بينهما ، وهى
تتسائل :

- أين هو ؟

وإذا بصوت النجم المحبوب (محمود عبد العزيز) مصهلاً
بأغنية « يا صحبجية » فى فيلم « الكيت كات » بطريقته التى
تفجر الضحك من القلب .. وأقبل القاضى وأبوه بذهولهما .
وإذا بهينى السيدة العجيبة تقعان على صندوق شطرنج فى مكتبة
التليفزيون ، فتمسارح بالتقاطه ، ملتفتة إلى القاضى وأبيه
بسؤالها :

- من فيكما يلعبه ؟

وإذا برد الحاج (عبد الباسط) بلهفة طفولية :

- نحن الاثنان .

أسرعت تضع الصندوق فوق المنضدة الأباتوسية التى تتوسط
الأتريه ، فقللة لهما :

- إذن اجلسا والعبا حتى ناتيكما أنا و« شوشو » .

لم يملك العجوز الطيب إلا أن يلتفت إلى ابنه المتسمر فى
مكثه يسأله :

- ما رأيك يا سيادة المستشار ؟

وإذا بالمرأة هى التى تجيبه :

- سيلعب يا بابا .. والفاز منكما سيلاعنى .. لجنما !

ولم يملك القاضى إلا أن يجلس بذهوله أمام أبيه حول المنضدة ،
لتتلفت (ملجى) إلى (شيماء) قائلة :

- هيا معى يا « شوشو » .

وكان ردُّ « شوشو » ، وهى تضع يدها العصفورية فى
يد (ملجى) :

- هيا يا ماما .

ومضت الاثنتان معاً ، بينما للقاضى الوسيم يشبههما بعينه
لذاهلتين ، حتى انتبه على صوت أبيه يتلاديه باسمًا :

- هيا يا بطل !

وراح يرتب قطع الشطرنج فوق اللوحة ، مردداً فى فرحة
غامرة :

- والله زمان يا « جنجل » !! والله زمان !!

لقل من الساعة وكان القاضى الوسيم وأبوه وطفلته وبنت
الذوات اللاتة يلتفون حول مائدة العشاء فى ألفة وحميمية
متناهية ..

أسرة متكاملة جميلة ، تفرحها السعادة ..

وبعكس المألوف راحت الضيفة هى التى تحت أصحاب المنزل
على استئناف طعامهم كلما هموا بالانكفاء ، وكأنها سيدة
المنزل .. لحظت بعد العشاء ، وكانت تضع كوب حبيب دافئ فى
يد (شيماء) ، بينما راح القاضى وأبوه يتناولان الشاي الذى
أعدته لهما بديها ، ولذى ما كاد يفرغ منه الحاج (عبد
الهادى) ، حتى راح يتأهب قائلًا :

- بهذه الوجبة النووية ما عاد بمقهورى إلا النوم .

وهم بالتهوؤ ، ولكنه قبل أن ينهض وجد نفسه ينظر إلى
الضيفة الساحرة بعينين ملوهما امتنان ، ليقول لها :

- شكرًا يا (ملجى) هاتم .. لقد أعدت لينا ألمانا للحلوة .

وكان ردُّ (ملجى) وهى تأخذ بيده بين يديها قائلة بحنان
دافئ :

- لا تنادني بـ « هاتم » هذه مرة أخرى يا بابا « عهده » ..
أنا اهنتك .

وإذا بها تميل على يد الرجل ، طابعة عليها قبلة الأمينة ،
ليخفق قلب العجوز بشدة ، وهو يسحب يده بسرعة مردداً :
- استغفر الله يا بنتى .

وإذا بـ (ماجى) تحتويه بعينها قائلة بحنوها :

- هيا يا بابا إلى فراشك .. تصبح على خير .

ونهض العجوز ذائب الفؤاد ، والتفت إلى حفيدته قاتلاً :

- هيا يا « شوشو » .

ووضعت الحفيدة الصغيرة يدها فى يد جدها قائلة :

- هيا يا جدو .

وإذا بالقاضى يستوقفها معتباً :

- هكذا يا « شوشو » دون أن تقبلينى ؟

فما كان من الطفلة الملاككية إلا أنها اسرعت تلقى بنفسها فى
حضنه ، لتبادلته قبيلته ، قائلة ببراعتها وعذوبتها التى لا تقاوم :

- آسفه يا بابا .. غلبنى النعاس .

وكان رد القاضى مداعباً ، وهو ينقل عينيه بينها وبين
(ماجى) :

- طيفاً شغل المطبخ ، والعشاء النوى .

وعاد يقبلها :

- تصبحين على خير يا حبيبتى .

- وحضرتك من أهله يا بابا .

وإذا بـ (ماجى) تتركها بسرعة :

- بابا فقط ؟

وكان رد الطفلة الجميلة أن أسرعت إليها تقبلها :

- تصبحين على خير يا ماما .

- وأنت من أهله يا حبيبة ماما .

وعادت الطفلة تضع يدها فى يد جدها ماضية معه ، بينما
أبوها وضيافته يشيعتهما بنظراتهما حتى دخلا غرفتهما ، فإذا

بالضيقة الغائنة تلتفت إلى القاضي الوسيم قللة له ، وهي تنظر
في (موبلينها) !

- الساعة الآن العاشرة والربع .. أمامك ساعة كاملة
لترينى كيف ستحتفى بامرأة جميلة فى ضيفتك يا سيادة
المستشار ..

وكان ردَّ القاضي الوسيم باسمًا ، وهو يقوم سحرها للطاغى :

- ما عادت ضيفة يا سيدتى الجميلة .

ونفض متلولا (كاسيت) صغيرا و« سى دى » من مكتبة
التليفزيون ، ثم التفت إليها قللاً فى تهكم :

- تعالى .

ومضى بها إلى البلكون .. جلسها ، وجلس قبلتها مديرا
(الكاسيت) ، فإذا بـ « ثومة » تصدح برائعتها التى تذيب القلب
« ألف ليلة وليلة » ..

كان اللطف قد مرى فى الجو بعد ثلاثة أيام من صقيع
« طوبية » الذى لا يُحتمل .. وكان القمر يتوسط السماء
مكتملاً ناصفاً بهياً ، تحفه بضع نجومات زهرية رقيقة ..

وبالأسفل بدا ميدان « الرماية » الذى يطل عليه البلكون رقيق
الإضاءة ، مثيرا للشاعرية ببراحه وأضوائه ورونقه ..

وتعاقب تغريد « ثومة » مع هذا الجمال صانعا جنة شاعرية ،
سرى أريجها فى وجدان (ماجى) ، لتجد نفسها تقول للقاضى
لوسيم بخفوتها الداھش :

- يا اااااه يا « جلجل » !

معقول ؟!

معقول أنا وأنت فى هذه الجنة بمفردنا ؟!

فى بيت واحد يضمنا ؟!

فى خلوة لا يفصلنا فيها عزول ؟!

معقول ؟!

معقول ؟!

حلم هذا أم حقيقة ؟

أجبنى يا مالك مفتاح الجنة ..

أجبنى !

طمئنى !

نعم طمئنى !

فما أشد حاجتى الآن للاطمئنان إلى قننى لا أحلم !! بل أعيش
حقيقة أحلى واشهى من الحلم .

طمئنى يا مالك القلب !

طمئنى !

وتهاوى كبرياء بنت الذوات العاشقة تحت هذا السيل الكاسح
من الخوف والتوجس .. وراحت تتطلع إلى فارس قصة صباها
بكل وجد العاشقة الثالثة بين الحلم والحقيقة ، ولكن الفارس لم
يكن أقل منها تبهًا ووجدًا ، تطلعت عيناه تفتش فى عينيها عن
مرفته المفقود .. انطلق يغوص فيهما بتوجسه الضارب بجذوره
فى سحيق أعماقه بحثًا عن قلوبه ومجدله للذين تحطما وغرقا
يومًا ما ..

وطال غوصه ..

وطال بحثه ..

وطال صمته ..

فامتدت بدا بنت النواقي محتضنة يديه ، وعادت تتأشده فى
شبه تومل :

- لا يا حبيبى .. لا تصمت هكذا .. بل تكلم .. أجهنى بشيء
بطمئنى .. أرجوك يا حبيبى أرجوك ..

وكان توصلها هذا استلزه .. وجد نفسه يجيبها بالتفعل بنهشه :

- بل أنا المحتاج إلى الاطمئنان منك يا (ماجى) .. نعم أنا
المحتاج إليه ، لا أنت .. محتاج لأن تطمئننى بأن هذه الجنة
التي لاحت من بعد سنوات قفار حقيقة لا سراب .. أنا الأكثر
حاجة منك إلى الاطمئنان .. فلما الذى نُبحث فى بدايتنا البعيدة ..
وتجرّعت عذاب كابوس كان يومًا حلمًا يفوق الورد جمالاً ..
أنا الذى حظّيتي للآخر يومًا من عل ... من ربى جنة سكناها معًا
إلى أودية جهنم ما كلفت فى الحسبان .. أنا .

أنا يا (ماجى) ..

أنا الذى هويت فى فراشى يوم زفافك أبكى بكاءً ما يكرته يوم
رحيل أمى ..

أنا الذى سهرت آلاف الليالى بين أطلال جنتى لتعنى نفسى
وقلبى ..

أنا الذى عشت عمراً أسأل نفسى عما جنيت كى يقذف بى من
الجنة إلى النار ..

أنا الذى أحتاج جواباً .. تفسيراً .. تبريراً لظلم التهم أحلى
سنين عمرى .. فهل من جواب لديك ؟

وسكت الرجل متطعناً إليها بهدير يهز كيانه كله ..

وسكتت « ثومة » عن الغناء ..

ولم يبق من هدير الليلة سوى زفرة ساخنة جاءت مسحوبة
من أعماق الرجل كأنها شريط من نار ..

الفصل الرابع

وقف المحامى الكبير خلف مكتبه الضخم مرحباً بزواره الذين ألحوا
فى طلب مقابلته قبل الجلسة بساعات .. ثلاثة رجال أشداء تكسوهم
أمارات الهيبة ، وتغمرهم بالضموض نظاراتهم السوداء لضخمة ..
بلاره أحدهم قفلاً فور جلوسهم :

- ما الأخبار يا دكتور « شوقى » ؟

وكان رد المحامى فى شبه إحباط :

- الحقيقة أن الموقف صعب يا (حازم) بك .. الشاهدان .. آثار
دماء القتل فى سيارة (رامى) - شريحة (موبائل) القتل التى
ضبطتها لمبلث معه .. تقرير الطبيب الشرعى .. اعتراف (رامى)
نفسه فى محضر البوليس - كل ذلك جعل موقفه فى منتهى
الصعوبة .

وكان تعقيب (حازم) بعد أخذه نفساً من سيجارته :

- إذا كتمت القضية صعبة ، فسيادتك أستاذ القانون الجنالى
يا دكتور (شوقى) .

- هذا لا يضى أن ...

ولم يتمها .. فقد قطعته أحد رفيقي (حازم) فى شبه حزم :

- دكتور (شوقي) ! نحن قادمون لك برسالة محددة .

فوجئ الدكتور (شوقي) :

- ما هي ؟

- مد فى القضية لأقصى مدى تستطيعه .

ازداد الدكتور دهشة :

- علواً .. لا أفهم ..

وكان ردُّ الزائر الثالث ، وهو ينهض مع رفيقيه :

- ضيق وقتنا يا دكتور .

واستدار الزوار الثلاثة منصرفين ، تاركين المحامى العجوز غارقاً فى دهشته .

ومضى المحامى إلى الجلسة ، تتردد فى أذنه كلمة الزائر العجيبة « ضيق وقتنا ! »

وتودى على شاهد الإثبات فى القضية ، فقبل كهل معصم ، ضليل الجسد ، ثقبل الخطى .. وقف أمام المستشار (جلال عبد الباسط) بجيبه !

- (خليل على أبو حجازى) .. ٦٣ سنة .. خفير بشركة النصر للمقاولات .

- قل والله العظيم أقول الحق .

- والله العظيم أقول الحق .

- ماذا رأيت ؟

- يا حضرة القاضى .. كنت جالساً فى مدخل موقع البناء الذى أعمل به ، فى أول طريق الفيوم الصحراوي .. ولأن الجو كان شديد البرودة فى تلك الليلة ، فقد أشطت بعض بقايا الأخشاب لأستدفئ بها ، وأعد عليها كوب شاي .. وفجأة ظهرت أنوار سيارة قادمة من بعيد ، خلفها قادمة إلى الموقع ، فلم يكن هناك فى هذه البقعة الخالية لمتصمة سواه ، ولكنى وجدت السيارة تجتذره ، فنهضت لتابعها بعينى ، لأعرف إلى أين تمضى ، فلربما يكون قلدها قد ضل الطريق . ولكنى فوجئت بالسيارة تتوقف خلف الموقع ، وقلدها ينزل منها ، فتعجبت فى نفسى وتساءلت عما عصاه

يفعل في هذا المكان ، وفي هذا الخلاء ، فقد كان الفجر وشيخاً ..
ووجدت نفسي أمضى نحوه في حذر ، فإذا به يفتح حقيبة السيارة ،
ويسحب منها شيئاً بدا ثقيلاً عليه ، ويلقى به خلف السيارة .

وتوقف الشاهد العجوز عن الحديث لينتقط أنفاسه ، بينما كل
العيون المتواجدة في القاعة معلقة به ، حتى استنطقه المستشار
(جلال) :

- ثم ماذا يا (خليل) ؟

- لا أخفى عليك يا حضرة القاضي عندما رأيته يسحب ذلك الشيء
من السيارة ، ويلقى به اتقبض قلبي ، وشعرت بالخوف ، ومع ذلك
رحت لأواصل تقدمي نحوه ، حتى اقتربت منه ، وهو بهم يركوب
السيارة ، فأسرعت أنادي به : « يا باشا .. يا باشا » ، ولكنه لم
يلتفت إلي ، وأسرع بالقفز داخل السيارة والانطلاق بها ، فأسرعت
أخبين ذلك الشيء الذي ألقي به ، فإذا به قتيل .

وسرت قشعريرة شديدة في بدن الشاهد العجوز ، أوقفته عن
حديثه ، فتريث القاضي عليه قليلاً حتى يهدأ ، ثم عاد يسأله :

- وهل تمكنت من رؤية قائد السيارة هذا يا (خليل) ؟

- نعم يا حضرة القاضي .

- إذن تنظر إلى المتهم !

التفت الشاهد إلى المتهم ، فأرشف القاضي متسائلاً :

- هل هذا المتهم هو قاتل السيارة ؟

دقق الشاهد للنظر في المتهم ، ثم أجاب القاضي :

- نعم يا حضرة القاضي .. هو .

حدجة القاضي بنظرة متأنية ، كلما يريد الاطمئنان إلى جوابه ،
ثم التفت إلى الدفاع متسائلاً :

- هل يريد الدفاع سؤال الشاهد :

وجاء فرد من الدكتور (شوقي) ، وهو ينهض مقلداً (روبه) :

- نعم يا سيادة الرئيس .

- تفضل .

تقدم الدكتور (شوقي) من الشاهد حتى وقف أمامه ، وراح
يتقرؤه بنظرة طويلة نافذة كادت تتركه ، لولا أن المحامي
المحتك أسرع يسأله في شبه مداعبة :

- أخبرني يا (خليل) ! هل تناولت إفطرك وشايك الثقيل ؟

دهش الحاضرون والشاهد ، ولكنه لم يملك إلا أن يجيبه :

- الحمد لله يا أستاذ .

- جميل ! إذن فانتبه لى جيداً يا (خليل) .

- تحت أمرك يا أستاذ ..

- فى بداية شهادتك ذكرت أنك كنت جالساً بمدخل موقع البناء الذى تحرسه ، ومشعلاً ناراً أمامك للتدفئة .

- نعم يا أستاذ .

- وذكرت أنك رأيت سيارة قادمة نحو الموقع .

- نعم يا أستاذ .

- إذن فهذا يعنى أنه كان بمقدور قائد هذه السيارة أن يرى

النار المشتعلة والجالس خلفها .

- طبعا يا أستاذ .. مؤكد شاهدها وشاهدتى .

- جميل يا (خليل) .. جميل .. ثم ذكرت أن قائد السيارة هذا

توقف خلف الموقع ولقى بشيء ما ، اكتشفت أنت بعد ذلك أنه قنبل .

- نعم يا أستاذ ، هذا ما حدث بالفعل .

هنا انفتحت المحامى العجوز إلى هيئة المحكمة ، هاتفاً فيها بصوت جهورى كاد يرج القاعة :

- إذن فهذا الكلام من الشاهد يا حضرات المستشارين يعنى أن قائد السيارة - والمفروض أنه القتل - كان يحمل فى سيارته جثة ، وأنه دخل الصحراء ليتخلص منها ، فإذا به يشاهد شخصاً يستدفئ بنار مشتعة أمامه ، ومع ذلك لا يتراجع ، بل يواصل تقدمه فى اتجاه هذا الشخص ، حتى إن الشاهد نفسه اعترف فى شهادته بأنه ظنه يقصد الموقع .. ثم يتوقف على بعد أمتار قليلة من هذا الشخص الجالس خلف النار ، ثم ينزل من سيارته ، ويسحب الجثة من حقيبتها ، ويلقى بها .. كل ذلك دون أننى مبالاة بوجود هذا الشخص ، ودون أننى تفكير فى الابتعاد عنه .

هنا هب وكيل النيابة الشاب واقفاً ، هاتفاً :

- شيء طبيعى يا حضرات المستشارين أن يكون القاتل فى هذه الظروف مرتبكاً ، فتفوقته رؤية بعض ما أمامه .

وكان ردّ الدكتور (شوقى) بمنتهى الهدوء :

- ونحن سنسلم مع النقيبة بهذا التحليل يا حضرات المستشارين .

ثم عاود الالتفات إلى الشاهد ، مواصلاً تنفيذ شهادته :

- ذكرت أيضاً فى شهادتك يا (خليل) أنه بعد أن فرّ قائد السيارة بمسيارته ، التفت لتتبين ذلك للشئء الذىلقى به ، فاكشفت أنه جثة قتيل .

- نعم يا أستاذ ، فعلت ذلك .

- وقبلها ذكرت أنك شاهدته وهو يفتح حقيبة السيارة ، ويمسح منها هذا الشئء ، ويلقى به خلف السيارة .

- نعم يا أستاذ .

- إذن فهذا يعنى أنك كنت قداماً من خلف السيارة .

- نعم يا أستاذ .

- إذن فمن المنطقى هنا يا رجل أن ترى ذلك للشئء الذىلقى به وتتبينه قبل أن يفر هو بمسيارته لا بعدها .

ارتبك الشاهد ، وهم بأن يجيب المحامى بشئء ما ، ولكن وكيل النقيبة كان أسرع منه :

- شئء طبيعى أيضاً يا حضرات للمستشارين أن توتر الشاهد وخوفه فى هذه اللحظات جعلاه يهتم أولاً بقائد السيارة الذى بهم بالفرار .. فالشئء باقى فى مكانه ، والفرصة قائمة لتبينه ، بينما قائد السيارة سيلوذ بالفرار .

وإذا بتساؤل المحامى بمنتهى المخيرية :

- توتر الشاهد هذا منعه من رؤية الجثة أولاً ، ولم يمنعه من رؤية وجه قائد السيارة بهذا التركيز الذى مكّنه من حفظ شكله حتى تم القبض عليه ؟!

ولم يملك وكيل النقيبة رداً ، فالتفت المحامى باتفعاله مرة أخرى إلى الشاهد :

- أخبرنى يا رجل .. ماذا كان لون السيارة هذه التى شاهدتها ؟

أطرق الشاهد مردداً ، وهو يعصر ذاكرته :

- زيتى .. أسود ..

ثم رفع وجهه إلى المحامى :

- لو أنها كان غامقًا يا أستاذ .

أطرق المحامى مرثداً بصوت مرتفع :

- زيتى .. أسود .. غامق !

ثم رفع وجهه إلى هيئة المحكمة قائلاً فى تعجب :

- مرة أخرى يا حضرات المستشارين ، الشاهد غير متحقق من لون السيارة ، ومع ذلك متحقق من وجه قائدها الأقل حجمًا ووضوحًا !

وكان ردُّ وكيل النيابة باتفعله :

- المكان - كما ورد على لسان الشاهد يا حضرات المستشارين - كان معتماً ، أى كان يصعب التمييز فيه بين الألوان .

وكان ردُّ المحامى بمنتهى القوة :

- إذا كان الأمر كذلك فلماذا اختار الشاهد لونه الزيتى والأسود دون غيرهما ؟

وكان ردُّ وكيل النيابة متعجباً :

- يا حضرات المستشارين ! النيابة لا تدرى فيما يحاول الدفاع فى قضية توافرت فيها حزمة من الأدلة ، وبها شاهد إثبات ، واعترف فيها القاتل نفسه فى محضر البوليس بارتكاب جريمته .

وكان ردُّ المحامى العجوز بمنتهى البساطة :

- فلنغند مفا ما عسسته الزميلة النيابة يا حضرات المستشارين ، أما عمًا وصفها السيد وكيل النيابة بأنها حزمة أدلة ، فبئها لا تزيد فى مجملها عن مجموعة ملابس ، لم ترقى ولحده منها إلى مستوى اللليل ..

وأما عن شاهد الإثبات ، فما هى شهادته أمامكم يا حضرات المستشارين ، أشبه برقعة قماش ، المنقوب فيها أكثر من للموصول .

ولم يحتمل وكيل النيابة أكثر من هذا ، أسرع يقاطعه بتفعل ! - هذا عن الأدلة والشاهد .. فلماذا عن اعترافات المتهم نفسه فى محضر البوليس ؟

هنا انفلتت ابتسامة سخرية من المحامى العجوز ، نظر بعدها إلى وكيل النيابة متسائلاً بمنتهى السخرية :

.. أو لا يدرى السيد وكيل النيابة كيف تَوَخَّذ الاعترافات في أقسام البوليس ؟

وإذا برد وكيل النيابة بسخرية أشد وطأة :

- إذا كان الدفاع يلمح إلى تعرض المتهم للضغط أو التعذيب في قسم البوليس ، فبئنى أحبيه بقلته بأن متهمنا اليوم ليس من الصنف الذى يُمس في أقسام البوليس ، بل يُعامل كغزير فندق .

ولم يجد المستشار (جلال عبد الباسط) ، مفرًا من التدخل ، موجهاً حديثه للدفاع :

- هل فرغ الدفاع من سؤال الشاهد ؟

وكان ردُّ الدكتور (شوقي) :

- بعد إذن المحكمة ... سؤال واحد فقط .

- تفضل .

التفت المحامى إلى الشاهد :

- أخبرنى يا (خليل) .. لماذا لم تحاول استخدام سلاحك مع قائد السيارة إياه ؟

وكان ردُّ (خليل) ببساطة :

- لأننى لا أحمل سلاحًا من الأصل يا أستاذ .

دهش المحامى :

- لا تحمل سلاحًا ؟

- نعم يا أستاذ .

- خفيّر فى موقع فى الصحراء ، ولا تحمل سلاحًا ؟

ولم يملك المحامى إلا أن يزم شفثيه تعجبًا ، فعاد المستشار (جلال عبد الباسط) يسأله :

- أما زالت هناك أسئلة أخرى من الدفاع للشاهد ؟

وكان ردُّ المحامى :

- بل لنا مطلب واحد يا حضرة الرئيس من هيئة المحكمة الموقرة ، وهو إحالة هذا الشاهد إلى الطب الشرعى لتحديد مدى سلامة بصره .

والتلفض وكيل النيابة هاتفًا :

- علوًا لهيئة المحكمة ، فما هذا المطلب من الدفاع إلا محاولة لتضيق الوقت .

وكان ردُّ المحامي على الفور :

- لا يا حضرات المستشارين .. بل هو لعدم اطمئناننا حقًا لسلامة نظر هذا الشاهد .

اغلقت تساؤل وكيل النيابة مشحونًا بالسخرية :

- وهل هناك خفير ضعيف النظر ؟!

وكان ردُّ المحامي بسخرية أشد :

- وهل هناك خفير بلا سلاح ؟!

وللتفت المحامي إلى هيئة المحكمة قائلًا :

- يا حضرات المستشارين نعتقد أن هيئة المحكمة الموقرة أكثر حاجة منا إلى الاطمئنان لسلامة نظر الشاهد التي تقوم عليها شهادته .

وسكت المحامي متطلعًا إلى جواب هيئة المحكمة .. وساد الصمت المطبق للحظة ، تداول فيها المستشار (جلال عبد الباسط) المشورة مع زميله ، ثم راح يتلو قراره :

- يُحول الشاهد إلى الطاب الشرعي لتحديد مدى سلامة بصره ..

رُفعت الجلسة ..

ونهضت هيئة المحكمة مغادرة القاعة . فإذا بالهرج والمرج يدبان فيها ، وإذا بالصحفيين يهرعون إلى (رامي) في القفص ، يسبقهم أسدقأزه منادين عليه ، فإذا به يجيبهم هاتفًا بمنتهى الحزن ، والحراس يسحبونه :

- ماما لم تأت ... الهاتم لم تأت لأنها الذي سيُعظم .

* * *

الفصل الخامس

رن (موبائل) المستشار (جلال عبد الباسط) ، وما إن وضعه على أذنه ، حتى هتف بمنتهى الجزع :

- ماذا بها ؟

ثم أردف بهزعه :

- أنا قادم حالا .

وإذا به ينطلق جرياً من استراحة القضاة فى المحكمة ، حتى إنه لم يسمع نداءات صديقيه القاضيين اللذين كانا يجالسانه ، فما كان منهما إلا أنهما انطلقا فى أثره ، لينطلقوا ثلاثتهم معاً فى سيارة المستشار (جلال) قاصدين منزله .. وما هى إلا ربع الساعة ، حتى كانوا ثلاثتهم يقتحمون غرفة (شيماء) ، تسبقهم نداءات المستشار بقلبه المخولق فرغاً :

- (شيماء) ! (شيماء) !

كانت الطفلة ممددة فى فراشها ، مغمضة العينين ، ينبعث منها أنين خافت واهن كأنين الاحتضار ، بينما كان وجهها محتقناً مصبوغاً بزرقة مفزعة ، وما إن لمسها حتى فوجئ بها شديدة السخونة . وكأنها تشوى ، لتنفث منه هتفته الفزعة فى جدها الجالس إلى جوارها يحدث فيها ، وهو يرتجف فرغاً :

- منذ متى وهى بهذه الحال ؟

وأجابه الجد مرتعداً :

- من ساعتين أو أكثر .

- ولماذا لم تتصل بى فى لحظتها ؟

- حاولت كثيراً يا بنى ، ولكنى وجدت تليفونك مغلقاً ، فادركت أنك فى جلسة .

- الله يقطع الجلسة ومن فيها .

وأسرع يطلب رقماً فى (موبائله) ، ويهتف فى محدثه :

- دكتور (عصام) ! أنا المستشار (جلال عبد الباسط) .. أتركنى ! البنت تموت .

وأغلق التليفون ، وأسرع مقارناً الغرفة ، ليرتد فى لمح البصر بكيس الكمادات محشواً بالثلج ، أسرع بوضعه على رأسها ، وهو يجلس إلى جوارها ، محدقاً فيها بفزع يكاد يفجر قلبه .. لمها ماتت فجأة فى حصى لعنة كهذه ، وينفس السيناريو الخاطف .. وجد نفسه يصرخ فى أعماقه «يا لله ! أنت أرحم من هذا» .. وطفحت صرخته من عنيه ، وهو يحدث بخاطره المفزع فى أبيه وصديقيه للواقفين ، فأسرع المستشار (خالد الصاوى) يحاول طمأنته :

- إن شاء الله سليمة يا (جلال) بك .. إن شاء الله سليمة .

وكذلك أسرع بفعل للمستشار (حسين زيتونة) :

- مؤكد وعكة بسيطة ، وستنهض منها بالسلامة إن شاء الله
يا (جلال) بك .

ورن (موهبل) الأب للمنتاع ، فأسرع بحبيب ظناً منه أنه الطبيب ،
فإذا بها (ماجى) - أطلعت منه هفتة الفزعة :

- (شيماء) تموت يا (ماجى) .. (شيماء) تموت .

وأنقى بالتليفون جاقها ، منبهاً نداء الطفلة المغمضة العينين :

- بابا .. بابا .

ولكنه ما كان نداء ، بل هذياناً دفع بفزع الأب للمنتاع إلى
نروته ، فهم بمعاودة الاتصال بالطبيب مرة أخرى ليعمّله ، فإذا
بجرس الباب يرقى .. تطلق يفتحه ليندخل الطبيب .. لاحظت وكان
الأخير يفرغ من فحص الطفلة ، ليلتفت إلى أبيها قاتلاً :

- حتى يا (جلال) بك !

وأنفقت سؤال الأب بذهوله الجنونى :

- ستموت ؟!

وكان ردّ الطبيب فى دهشة ، وهو يمسك بحقنة دواء أعدها :

- الأعمار بيد الله يا (جلال) بك ، ولا علاقة لها بالمرض !

ثم أردف فى حنو :

- أممك بها من فضلك !

وحققها للطبيب ، ليندوى صراخها ، فأسرع أبوها بضمها إلى
حضنه ، مردداً وقلبه يتمزق عليها ..

- ألف سلامة يا حبيبة بابا .. ألف سلامة ..

وجلس الطبيب بحرر روشتة الدواء ، ثم نهض يناولها للمستشار
(جلال) قاتلاً :

- طيباً يا (جلال) بك هى محتاجة لأحد يلزمها ، والالتزام
للتام بالعلاج ، وسوف أعود بعد خمسة أيام لأطمئن عليها ، وإن
شاء الله ستكون تحسنت .

وحمل للطبيب حقيقته ، مستأنفاً الجميع فى الانصراف ،
واستدار متصرفاً بصحبه المستشار (جلال) ، حيث منحه أتعابه
، ثم رافقه حتى باب للشقة .. ودعه شاكراً ، وهم بأن يعاود
غلق الباب ، فإذا بـ (ماجى) مقبلة جرياً ، وتسرع بسؤاله
بمقتهى الجزع :

- ماذا حدث ؟

أسرع يدخلها :

- تفضلى .. تفضلى ..

وأغلق الباب ، وأسرع يضغط (الإتركوم) المجاور له مستدعياً البواب كي يأتى بالدواء من الصيدلية ، ثم انطلق مع (ماجى) إلى الغرفة ، لتقفز هي فوق الفراش ، متلذذة الطفلة وهى تضمها بين يديها :

- « شوشو » حبيبتى ! « شوشو » ! أنا ماما (ماجى)
يا حبيبتى - أنا ماما (ماجى) .

ولكن الطفلة كانت قد راحت تماماً فى النوم ، مما جعل المستشار (حسين زيتونة) يجيئها قلائلاً :

- يبدو يا هاتم أنها نامت بتأثير دواء الحقنة .

التفتت إليه (ماجى) بهلعها ، فأسرع المستشار (جلال) يقوم بالاعتراف بينها وبين صديقيه القاضيين ، ثم دعا الجميع لمرافقته إلى الصالون ، فإذا بـ (ماجى) تجيئه :

- بل تفضلوا حضراتكم أنتم ، واتركونى أنا هنا معها .

وكان رد المستشار (جلال) فى امتنان حزين :

- شكراً لك يا (ماجى) هاتم -

تفضلى حضرتك لتتناولى الشاى معنا قبل أن تنصرفى ، فالساعة الآن تجاوزت العاشرة ليلاً ..

وإذا برد السيدة :

- أنا لن تنصرف يا (جلال) بك .

فوجئ القاضى ، وأسرع يتبادل نظرة دهشة مع أبيه ، ثم عاد يسألها بدهشته ..

- ماذا تعنين يا (ماجى) هاتم ؟

وإذا برد الهاتم :

- أعنى ما قلته يا (جلال) بك .. لن تنصرف من هنا قبل أن تصعد (شيماء) عافيتها .

ضربت الدهشة القاضى :

- ولكن هذا سيستغرق أياماً يا (ماجى) هاتم .

- ولو يا (جلال) بك .. لن أتركها . فكان جوابه الصمت ..

وكان على رأس (جلال) بك الطير ..

الفصل السادس

منذ وفاة زوجته لم تأت على المستشار (جلال) أيام كروية ، ولا لبالي مريرة كهذه .. ففكرة أن طائر الموت راق له أن يحوم حول وحيدته الصغيرة ، جعلته يتنفس فرغاً وتشاؤماً .. ولول ليلة لها في مرضها قضائها جالساً في الصلابة ، يشعل للسيجارة من السيارة ، ولولا وجود (ماجى) معها في الغرفة لقضائها بجوارها في الفراش .. لم يفلح إلحاح أبيه عليه ، ولا توسلات (ماجى) له بأن يخلد إلى النوم ، كى يستطيع أن يذهب إلى عمله صباحاً .. وبالفعل طلع عليه النهار ، وهو على جلسته بالصلاة .. ولم يكن أمامه مفر من الذهاب إلى عمله ، فذهب .. ولكنه لم يدر كيف مرُّ عليه اليوم .. ولا ماذا فعل أو قال حتى خرج من باب المحكمة ، فإذا به يقذف بنفسه داخل سيارته ، متطلقاً بها صوب البيت بلهفة تكاد توقف قلبه .. ولتفاجأ به (ماجى) يصرق من باب الشقة كالسهم بمجرد أن فتحت له ، يسبقه سؤلله المشحون بلهفته العاتية :

- كيف حالها الآن ؟ كيفها ؟

ولحقت به (ماجى) وهو يضمها في حضنه ، وكأنه يضم قلبه الذى كان خارج ضلوعه ، يناديها :

- « شوشو » حبيبة بابا كيفك الآن ؟ كيفك ؟

وجاءه الرد من جدها الجالس إلى جوارها فى الفراش :

- أحسن .. أحسن كثيراً .

- أهى نقمة ؟

وجاءه الجواب من (ماجى) التى كانت قد جلست إلى جوارهم على حافة الفراش :

- أكلت وتناولت الدواء ، ونامت .

- ماذا أكلت ؟

أجابته أبوه :

- (ماجى) هاتم طهت لها خضار سوتيه ، وسلقت فرخة وأطعمتها منهما .

أعد القاضى توسيد طفلته فى رفق ، ثم التفت إلى السيدة .. متطلقاً إليها بامتنان طاغ :

- شكراً يا (ماجى) .

وإذا بأبيه يتدخل قتلاً وهو أيضاً يتطلع إلى السيدة بامتنان :

- على فكرة يا (جلال) يا بنى ... الهاتم لم تتم حتى الآن .

التفت القاضي إلى السيدة مندهشة ، فإذا بوجهها شاحباً حقاً
من آثار السهر ، فالتفت سؤاله محملاً بدهشته :

- كيف ؟

وكان رد (ماجى) باسمه :

- وكيف كنت أتركها بمفردها يا سيادة المستشار ؟

وكان القاضي يحتضنها امتناناً :

- هاتنا عدت يا (ماجى) ، فاتنهضى أنت إلى الغرفة الأخرى ،
ونامى .

همت السيدة بأن تجيبه بشيء ، ولكنه أسرع يقاطعها :

- لأجل خاطرى يا (ماجى) لأجل خاطرى ..

وإذا بالحاج (عبد الباسط) هو الآخر يكرر عليها نفس الرجاء :

- ولأجل خاطرى أنا أيضاً يا (ماجى) هتم .

وجدت السيدة نفسها تتأمله بنظرة طويلة وابتسامة حاتية ، ثم
تجيبه قائلة :

- أمرك يا بابا (عيده) .. سأفعل ، ولكن بشرط .

أسرع الرجل يقول :

- أوامرني يا هاتم .

- أن تكف عن كلمة « هاتم » هذه .

فوجئ العجوز الطيب ، وأسرع يتبادل نظرة دهشة مع ابنه ، علا
بعدها إلى السيدة ببصره ، فإذا بها فى انتظار جوابه بابتسامتها
الحلوة ، فلم يملك إلا أن يجيبها قائلاً :

- أمرك يا حبيبتى .

وإذا بهتفة السيدة بفرحة رصينة :

- الله ... أحلى كلمة « حبيبتى » سمعتها فى حياتى .

وإذا بها تعمل على خد الرجل بقبلة رفيقة ، ثم تنهض مغادرة
الغرفة ، تاركة الرجلين غارقين فى بحر هاتج من الدهشة !!

* * *

سنة أيام لا أكثر ، وكانت (شيماء) تجلس فى فراشها ،
تداعب أنباها وجددها و (ماجى) الجميلة النبيلة .. فرحة الدنيا
كلها انبثقت فى قلب بابا (جلال) ، ووجدته الصغيرة تقفز فى
حضنه ، لتداعبه بمنتهى الشقاوة ، بينما بابا (جلال) يعصرها فى
صدره ، ويضمرها بقبلة ، وكثرت كفت فى رحلة مخيفة مفقود الأمل
فى العودة منها .. وطال عناقهما وتبادل قبلاهما ، حتى هتف
فيهما للجد بفرحته الطاغية :

- وثقا .. أنا .. أين نصيبى ؟

وقفزت الطفلة الملاككية في حضن جدها ، ليضمها هو أيضاً
بقبلاته ، حتى أفاقتهما (ماجى) بتساؤلها فى تبسم :

- وأنا اليس لى نصيب فى هذا ؟

فما كان من الجد إلا أنه أسرع بوضع الطفلة فى حضنها ،
وهو يقول لها من قلبه :

- بل لك كل الشكر يا أصيلة ، يا بنت الأصول .

وكان رد السيدة مداعبة ، وهى تضم الطفلة فى صدرها ، وتقبلها :

- للشكر فقط يا بابا (عده) ؟

فيذا برد العجوز ، وهو يلتفت إلى ابنه مبتسماً :

- الشكر منى ، أما الباقي فلدى ناس آخرين .

وإذا به يأخذ الطفلة منها قتلاً :

- تعالى يا « شوشو » لأخبرك بسر فى غرفتى .

ومضى بالطفلة فى حضنه ، لتجد بنت الذوات الثلاثه نفسها
مع القاضى الوسيم بمفردهما فى الغرفة ، وقد راح يحلق على
وجهها بنظراته التى تلفصح بكل ما جاش به قلبه ، فلم تملك
إلا الابتسام ، قائلة له بخفوت رصين مثير مثل نظراتها :

- أخبرنى بابا (عده) بأنه لديك لى أشياء أخرى غير الشكر .

ودون أن تتوقف عتاه عن التحديق على وجهها أجابها :

- لى مطلب واحد فقط .

وكان ردها برصلتها التى لا تغادرها ، وتبسمها :

- لأمرنى يا جميل .

- تمامين ساعتين ، كى يمكنك تناول عشاءك معى .

وكان سؤالها وهى تدغدغه بنظراتها وابتسامتها :

- هنا ؟

- فى الـ « فور سيزون » .

اغلقت منها زومة إعجاب ، أعقبتها بجوابها :

- أمرك يا باشا .

واستدارت منصرفة إلى غرفة نوم الضيوف التى صارت غرفتها ،
بينما هو يشبعها بنظراته المشبعة بالاطمئنان والامتنان والإجلال ..

نعم .. ها هو الاطمئنان لها يشع فى قلبه طارداً منه رواسب
الماضى الأليم ..

ها هما الامتنان والإجلال يحلان محل النعمة والارتياح فى
قلبه ..

ها هو يرى فيها المرأة النبيلة الصلصة الملائكة له فى محنته ،
لا الانتهازية المخادعة التى جرّعته يوماً كأس الغر بدون مقفلة ..

وقب مكانه يشيعها بنظراته المشبعة بالطمأنينة وامتدته ، حتى
خرجت من الغرفة ، فمضى إلى أبيه وابنته ، يستألفهما فى أن يأخذ
هو أيضاً قسطاً من النوم ، ومضى إلى غرفته .. ساعتان تقريبا
وكان يستيقظ على نغمة منبه (موبيله) المستقر بجواره على
الكومودينو .. احساس جميل بالانشرائح والانتعاش غمره وهو
يقادر الفراش .. مضى إلى الحمام ، ليخرج منه بعد دقائق أكثر
انتعاشاً .. علم من أبيه أن (ماجى) ما زالت نائمة ، فاستألفه
فى أن يوقظها هو أو (شيماء) ، فكان ردّ العجوز الطيب بخفة
ظل متناهية ، وهو يهز رأسه رفضاً :

.. لا أنا ، ولا (شيماء) .. إنها ضيفتك أنت يا سيادة المستشار .

وجد نفسه يعضى إليها مرغماً .. فتح غرفتها بمنتهى الهدوء ،
وبنفس الهدوء راح يتقدم منها فى الفراش .. كانت تغط فى نومها ،
فلم تشعر به وهو يقف أمامها ، محذقاً فيها بطوفان من مشاعر
لا يعرف له وصفاً ..

مبهوراً ! لا يدري ..

مذهولاً ! لا يدري .

غير مصدق ! لا يدري .

وله الحق فى كل هذا ..

فلم تكن هذه التى تغط فى نومها لأمه سوى مزيج من الملائكة
والفتنة المتأججة !

ولم تكن هذه التى تغط فى نومها داخل إحدى غرف شقته ،
وفى فراش يخصه سوى (ماجى) !!

نعم (ماجى) !!

حبيبة القلب التى ما كان يحلم حتى يرويتها فى شارع من بعد
هجرتها إلى آخر الأرض !

حبيبة القلب التى انتزعها الأقدار يوماً من بين يديه ، لتقذف
بها فى آخر الأرض ، جاعلة منها حلماً مستحيلاً !

ها هى فى بيته !!

داخل إحدى غرفه !!

وفى فراش يخصه ، وهو معها ..

وحدما !

معقول ؟!

حلم هذا أم حقيقة ؟!

حلم أم حقيقة ؟!

وجد نفسه يجلس بجوارها على حافة الفراش ، ويمد يده
متحسناً شعرها .. وجهها .. ملامحها ، ليطمئن نفسه بأنها حقيقة ..

وفتحت الحبيبة عينيها .. فتحتهما على جلسته بجوارها ،
وسريان أصابعه على وجهها ، ونظراته الهادرة بطولان
مشاعره .. وقبل أن تليق من دهشتها كان قد أكمل عليها
بهمته التي جاءت من أعماق أعماق قلبه :

.. - أحبك ..

أحبك ..

أحبك ..

ولم تملك الحبيبة الفاتنة إلا أن تغض عينيها كما كانت ، فقد
كان كل ما فيها استحال ذوباً خالصاً ..

الفصل السابع

تطلق للمستشار (جلال) بحبيته الفتنة إلى لـ « فورسيزون » ،
وعلى أنقام البائد للقاعة راح الحبيبان يتناولان عشاءهما ، ثم
راحا يحسبان مشروبيهما ، ولكن (ملجى) ما لبثت أن نهضت
فجأة ، قلقة له :

- لحظة يا حبيبي .

وإذا بها تمضي إلى قفد فريق البائد ، وتصر إليه بوضع
كلمات ، أسرع على أثرها بتغيير موسيقاه إلى موسيقى
أغنية « حليم » « أنا لك على طول » ، بينما استدارت هي
مرتدة إلى حبيبها ، ماضية به إلى (البست) ، وواضعة نفسها
في حضنه بابتة رقصتهما بهمستهما المسحوبة من قلبها :

- أنا لك على طول خليك لي .

وذاب قلب القاضى للعشيق ..

وذاب وجدانه ..

وذاب كل كيانه .

ووجد نفسه يضغطها فى صدره ، وكفنه يريد أن يحشرها داخل ضلوعه .. آه لو أستطاع أن يفعل .. لجعل مأواها الأبدى بين الضلوع .

ها هو يوقن كل اليقين ، بأنه لا حياة له بدونها ..

ها هو يقبض عليها فى حضنه ، وكفنه يقبض على الحياة ذاتها ..

وشعرت هى به .. بحاجته إلى المزيد من الاطمئنان .. ومزيد أكثر من السقاء ، فكانت همستها له :

- خذنى من هنا .. خذنى بعيداً عن العيون .

أسرع يمشى بها ، ويبرئها مما فى طريقهما إلى باب الرستوران ، إذا بعينين تحدقان فى (ماجى) بمنتهى التركيز ، وإذا بصاحبتهما تتسائل بمنتهى الدهشة :

- أليست هذه (ماجى) هاتم ؟؟

ولم تكن صاحبة السؤال سوى (نرمين) صديقة (راسى) ، والتي كانت تجالس خطيبها وصديقهما المشترك ، والذي التقت بدوره إلى حيث تنتظر خطيبته ، ليصحب هو أيضاً بنفس الدهشة ، ولينفقت منه تساؤله :

- وأليس هذا الذى معها هو القاضي الذى ينظر قضية (راسى) ؟؟

وكان ردّ (نرمين) :

- نعم هو .

ثم أردفت بدهشتها الطاغية :

- أنا لا تفهم شيئاً .

وأجابها خطيبها بنفس الدهشة :

- ولا أنا !

وعاد المستشار (جلال) إلى منزله بمفرده .. فبشقاء (شيماء) انتهت مهمة (ماجى) التي تطوّعت بها ، وعادت إلى منزلها .. لم يشعر بأثر ذلك إلا حينما دخل الشقة .. كان الحاج (عبد العزيز) و(شيماء) نائمين - وكانت الشقة مظلمة إلا من نور خلفت بالصالة ، وكانت غارقة فى سكون بارد ..

يااااه ! ما هذه الوحشة ؟؟

وقف وسط الصلابة يدبر عينيه على الجدران وكأنه يعتبها على استقبالها البارد ، فإذا بها وكأنها هي التي تعاتبه على عروته بدون الحبيبة .. لقد تعودوا ، اعتكفوها ، أحبوا بها بما رنت فيهم الإحساس بالحياة .. وهو نفسه لا يمكنه إنكار ذلك ، فقد ظل لأكثر من خمس سنوات يراها جدراناً صماء خرساء لا حياة فيها ، حتى جاءت الحبيبة الجميلة بالحياة .. كل الحياة .. وجد نفسه يخطو نحو غرفتها .. يفتح بابها .. يتكلم خافق للقلب من الفراش الذي ضمها لسبع ليالٍ .. جلس على حافته يتحسس ، ويسرى عليه بنظراته المثقلة بخفقات قلبه .. توقفت يده على البيجامة التي كانت ترتديها ، فسكنت نظراته هي الأخرى عليها ، كأنها تسألها عن حالتها في فراق صاحبيتها .. فجأة انتبه على صوت أبيه يسأله مشفقاً :

- ولماذا تعذب أنفسنا والماء في أيدينا ؟

التفت إليه بعينين تكاد تبهيمهما ضراوة الوجد ، فلم يملك الأب إلا أن يعيد سؤاله ، وهو يجلس إلى جواره على حافة للفراش :

- لماذا وأنت تحبها كل هذا الحب وهي أيضاً تحبك ؟

وبمرارة تجربته القديمة معها اتسبب سؤاله :

- وما أدراك أنها تحبني ؟

وبابتسامة مشفقة أجابه أبوه :

- سؤال لا يليق بقاض ، بصيرته فوق بصيرة الناس .

- ألا أنها فعلت ما فعلت مع (شيماء) ؟

- بل فعلته معه أنت يا حضرة القاضي .

- ألا أنها فعلت ذلك معي ؟

- بل لأن ما فعلته كان يسوح برائحة الحب ، لا رائحة للولجب .

- قد تكون محقاً يا بابا ، ولكن ..

ولكن ماذا يا حضرة القاضي ؟

- ولكن لا تنس الفصل القديم من الرواية .

- آه ..

وأطرق الأب زامناً شفقيه زمة مستكبر ، رفع بعدها عينيه مرة أخرى إلى ابنه قتللاً :

الفصل الثامن

خفى قلبها بنوب الحنين ، وهى تسأله بخفوتها الداهش :

- لماذا جئت بنا إلى هنا ؟

كانا يسيران متأبطين بعضهما فى طرقات جامعة القاهرة ، وقد خلت عليهما تملنا ، فقد كانت الساعة قد جاوزت التسعة ليلاً ، ولم يكن هناك ثمة أثر لبشر أو حركة أو صوت ، فقط سكوت حاتم يرفل فى النور الأبيض الشاهى المنمكب من أعمدة الإشارة فوق للطرقات المرصوفة السمرء ، وحدائقها المنمقة الرقيقة ، جاعلين من الجامعة العريقة مدينة ناعمة رومانسية حالمة ترفل فى وداعتها ورقتها . ثم إذا بالمدينة الساكنة تبدو وكأنها فوجئت بهذين للعاشقين ، وبريحهما الذى هو ليس غريباً عليها .. وخيل للطرقات وللحدائق ولأبنية الكليات العتيقة أنهم يعرفون هذين العاشقين من قبل ..

ريحهما ليس غريباً !

ولا مشيتهما هذه ..

ولا أنفاسهما ..

ولا ملامحهما ..

- يا بنى إذا كان هذا الفصل جهلاً منها ، فمن الحق ألا تتجاوز .
وإذا كان ذنباً فمن الظلم ألا تغفره .

ورنت النصيحة فى عقل القاضى ، ومع ذلك هم بأن يعطى بشيء ، ولكن الأب أسرع يتم له نصيحته :

- وأنت الآن قاضٍ ، لا يليق بك الظلم ولا الحق .

ومرة أخرى هم القاضى بأن يعطى بشيء ، ومرة أخرى سبقه أبوه :

- لا تجادل يا حضرة القاضى ، فما عاد هناك وقت حتى للجدل .. هيا أدركا حيكما من عجلة الزمن قبل أن تدهسه مرة أخرى .

هيا .

فمن يكونان ؟

آه ..

إتھما (ماجى) و « جلجل » -

أجمل وأبهى وألذ حبيبين شاهدتهما الجامعة منذ ما يزيد على العشرين عامًا ..

يا لعودهما الجميل مثلهما !!

أكثر من عشرين عامًا مضت على غيبتها .. وأبدًا لم تتمهما ..

أوطان هواتنا أكثر وفاء منا ... تنساها وأبدًا لا تنسانا ..

بل نظل نتهو إلى عود جميل منا ، مهما طال بها الأمد .

وها هما العاشقان الجميلان قد عادا إلى منبت حبهما الأول .

ها هما (ماجى) و « جلجل » الجميلان يرددهما إلى هنا شيء ما .. ترى ما هو ؟

وعادت الحبيبة الجميلة تسأل حبيبها بخفوتها المضطرب بخفوق قلبها :

- حبيبى لماذا جئت بنا إلى هنا ؟

وتوقف بها « جلجل » على سلم كليتهما الحبيبة . فتأخذا أحضان عينيها لها ، وهامسا بالجواب :

- كى نبدأ من جديد يا حبيبة العمر ..

وازدادت الحبيبة دهشة ، وازداد قلبها خفقانًا :

- من جديد ؟!

وسرت خفقات قلبه هو أيضًا فى صوته الهامس ، فى نظراته التى راحت تهيم على وجهها الجميل هيام الفراش العاشق على صفحة بدره الساطع الذى يفتنه :

- نعم يا حبيبة العمر .. نعم .. من جديد .. من حيث التفرقا قبل ثلاثة وعشرين عامًا .. جننا كى نسلط من بيننا هذه السنوات الطويلة بأيامها ولياليها وقسوتها .. كى نصل ما تقطع بيننا قبل هذه السنوات المريعة .. كى نمحو من قلبينا مرارتها وأسائها وشقاءها .. كى ننصر للحب على تلك المجهول البغيض المترص به دومًا ، والذي لا يدع قصة حب إلا وقد نبهها ، وكأنه يحيا على أشلاء الحب ولحومه ودمائه ..

و

وتقطع سيل البوح .. فقد طفى وجد العاشق الوسيم ابن الأربعينات ، مندفعًا هادرًا من قلبه ، ومن كلفة حناياه ، مصافحًا الدماء فى شرايينه ، بالغا الحلقوم ، طافحًا على الوجه ، راسمًا على الملامح سكرات الخوف والرجاء . مما جعل الحبيبة تسرع

بضمه فى حضنها ، ضمة للطير لوليدته ، هقفة فيه بخفوتها
المشفق المختلج بخفوق قلبها :

- حبيبى .. طمنن قلبك .. طمننه يا حبيب لقلب والعصر ، طمننه ..
فهانأ بين يديك .. ها أنا منك بكل ما فى .. بقلبي .. بقلبي ..
بكنوز أنوثتى .. بينابيع حبي وحنفى .. بكل ما تبقى لى من رصيد
فى الحياة .. ها أنا أمام عينيك ، وبين يديك .. وفى حضنك .. فطمنن
قلبك يا حبيب القلب .. طمننه بأن تلك السنوات التى تحدث عنها
طويت .. صلحة وطويت إلى الأبد .. وطمننه بأن تلك المجهول البغيض
المتربص يوماً للحب ، والذي طعن حباً يوماً ما بسكينه القاتل أبداً
أن يجرؤ على الاقتراب منه مرة أخرى .. وطمننه بقلبي وعيت
الدرس ، ونضجت ، وأبقت بأنه لا وطن لى إلا حضنك هذا .

فقط يا حبيبى ..

فقط عدنى بشيء واحد .

وانفلت تسأل حبيبها ملهوفاً من قلبه - من أعماق قلبه :

- ما هو يا حبيبة العمر ؟

- عدنى بالأ تخذلنى أبداً يا حبيبى .

انفلت تسأله مندهشاً مستكراً :

- أنا ؟! أنا أخذك يا (ماجى) ؟!

وكان ردها بمنتهى الرجاء :

- حبيبى .. عدنى .. عدنى .

وجد نفسه يرفع رأسها عن صدره ، هاتماً على وجهها
بنظراته المرفقة بخفقت قلبه ، حتى التصاب من شفتيه وعده
لها :

- أعدك يا حبيبتى ... بكل قدسية الوعد أعدك .

وكانها التفتت وعد العمر ، أغمضت الحبيبة عينها على
العهد الثمين ، معيدة رأسها على صدر حبيبها ، سابعة فى
إحساسها الهائى بالأمان .

خدمت لزمة القاضيين (مكى) و (البسطلويسى) ، وأسعد نادى
القضاة هدوءه الجليل الجميل ، وعاد يستقبل أهله من رجال
القضاء ونويعهم ، ومن بينهم كان القاضيان (حسين زيتونة)
و (خالد الصاوى) ، واللذان ما لبثا أن نهضا مستقبلين صديقهما
المستشار (جلال عبد الباسط) وصاحبته الفتاة المقبلة معه ،
وبادرهما المستشار (حسين زيتونة) ، وهو يصافح المستشار
(جلال) :

- أهلاً .. أهلاً (جلال) بك .

وأردف ، وهو يصافح (ماجى) :

- أهلاً (ماجى) هاتم .

وأجابته (ماجى) بابتسامتها اللطيفة مثلها :

- أهلاً (حسين) بك .

وأردفت وهي تصافح المستشار (خالد الصاوى) :

- مبروك لحضراتكم .

وتسأل المستشار (حسين زيتونة) ، وهو يشير لها بالجلوس :

- علام يا هاتم ؟

جلست بينهم محبة :

- على انتهاء أزمة سيادة المستشارين (مكى) و(البسطاويسى)

بخير .

ابتسم المستشار (خالد الصاوى) متمسلاً فى إعجاب :

- وهل كنت تتأهينها يا (ماجى) هاتم ؟

وجاءه الجواب سريعاً ..

حاصماً :

- طبعا يا باشا .

ثم إذا بها تردف قفلة وهي توزع نظرات الإجلال على وجوه القضاة الثلاثة :

- قسمية القضاة راسخة فى قلب الشعب كله .. شيخاً وطفلاً ..

متطعاً وجاهلاً .. ولقضائنا فى قلوبنا جميعاً مكانة لا تدانيها مكانة ..

ويوم أن يخطر لمخلوق مهماً علا عرشه أن يمس هذه المكانة ،

ففيه لن يجنى من وراء هذا سوى الخسران المبين .

وسكنت الهاتم ، فإذا بعين القضاة الثلاثة تتعلق ببعضها فى

دهشة وانبهار طاغ ، حتى التفت إليها المستشار (جلال)

بنظراته المنبهة ، قفلاً لزميليه :

- هذا ليس غريباً من (ماجى) هاتم .. فلوأى حقوقية لجنة كلية

الحقوقى .. وثقأى هى ربيبة عقله مصرية عريقة مشهود لها بوطنيتها .

وكان رد (ماجى) :

- شكراً يا (جلال) بك ... ولكنى تهنتلى لحضراتكم .

وإذا برد المستشار (حسين زيتونة) مداعباً :

- عقبال تهنتلك لـ (جلال) بك يا (ماجى) هاتم .

فوجلت (ماجى) :

- تهنتته ... علام يا (حسين) بك ؟

- على انتهاء أزمته هو أيضاً .

ازدادت دهشة (ماجى) ، والتفتت إلى المستشار (جلال) متسائلة :

- أليّة أزمة يا (جلال) بك ؟

وإذا بالجواب يأتيها من المستشار (خالد الصاوى) :

- أزمة سى (رامى) !

شئ ما اختلج بشدة فى وجه (ماجى) ، وجعل نظراتها تنسمر على وجه المستشار (خالد الصاوى) لوهلة ، أسرعت تبهتها باهتمام مرتعشة وسؤال متوتر :

- من يكون (رامى) ؟

وجاءها الجواب من المستشار (حسين زيتونة) :

- قاتل الموسم .

وإذا بالمستشار (خالد الصاوى) يسرع بالالتفات إلى المستشار (حسين زيتونة) قائلاً بلهجة يشوبها الغتاب :

- تقصد « متهم الموسم » يا (حسين) بك .

وكان ردّ المستشار (حسين) بشئ من الخجل :

- آسف يا (خالد) بك .. ولكن المشكلة أن (جلال) بك مسلم فى داخله بأنه القاتل .

ولم يملك المستشار (خالد الصاوى) إلا أن يلتفت إلى المستشار (جلال) بنظرة متسائلة ، فكان جواب المستشار (جلال) بشئ من الضيق :

- (حسين) بك عنده حق .

ثم إذا به يردف وكأنه يحدث نفسه :

- ليس عندى أنى شك فى أن هذا الولد هو القاتل .

وللمرة الثانية وخر (ماجى) نفس الشئ المجهول المؤلم ، فى حين انفلت تنبيهه المستشار (خالد الصاوى) المشوب ببقز عاجه :

- (جلال) بك !

وكان ردّ المستشار (جلال) بشئ من الأسى :

- لا تقلق يا (خالد) بك .. هذا شعورى كبشر لا كقاض .. لا تقلق ..

وهذا هاجس المستشار (خالد) فى حين أردف المستشار (جلال) يزيده لطمناً :

- ثم إنك لا تنسى يا (خالد) بك وبها (حسين) بك أنه في قضية كهذه الإدانة تشترط إجماع أراء القضاة الثلاثة .

وأطمأن القاضيان - ولكن في المقابل بدت (ماجى) ولمسبب مجهول وكأنها هوت في قاع بلا قرار .

الفصل التاسع

ما إن وقعت عيون (نرمين) وخطيبها على (رامى) فى ففص الاتهام ، حتى اندفعا نحوه . هاسمين له مفا فى انفعال :
- (رامى) ! أمك هنا فى « مصر » .

اقتلض (رامى) من غرابة ما سمع ، وإذا به (نرمين) تكمل عليه :

- أتعلم مع من شاهدناها ؟

حدجها (رامى) بذهوله متسكلاً ، فكان جوابها :

- مع المستشار (جلال عبد الهاسط) .

هنا وجد (رامى) نفسه يرتسم مثقلاً على الفتاة وخطيبها ، وهو يسألها :

- ما هذا ؟ أهو تأثير حزنكما على ؟

وكان ردّ (نرمين) :

- لا يا (رامى) .. نحن لا نهذى .. أمك (ماجى) هاتم كانت مع المستشار (جلال) .

وإذا بخطيبها يؤمن على حديثها :

- نعم يا (رامى) أمك هنا ، وشاهدناها بعيوننا مع القاضى .

هنا اختلفت لبتسامة (رامى) ، لتتعد ملامحه بعقدة الذهول ، ولتشخص عيناه فى صديقيه ، وقد هم بأن ينطق بشيء . ولكن صيحة الحاجب كانت أسبق منه .

- محكمة !

وأطبق الصمت والسكون على القاعة ، ليبدأ وكيل النيابة الشاب مرافعته :

- حضرات المستشارين ..

ليلة أمس ، وبينما كنت فى منزل عائلتى ، فوجئت بمجموعة من أصدقاء شقيقى الطالب الجامعى تسألننى فى الحديث إلى ، وبأحدهم ييللرنى متساعلاً :

- يا باشا .. لماذا تجهد نفسك فى قضية كهذه ؟ فحتى لو حُلت أن حكمت المحكمة على (رامى) بالإعدام ، فلن يُعم .

دُهشت وسألته :

- كيف ؟!

وكان رذ صديق ثان بثقة عجيبة :

- سيتم تهريبه إلى خارج البلاد .

وإزدادت دهشتى ، وعنت أسألها :

- كيف ؟!

فكان رذ فتاة من بينهم وببساطة متناهية :

- بأموال وعلاقات عائلته يا أستاذ .

وهكذا يا حضرات المستشارين ، وضع هؤلاء الشباب يدي على مِرْبَطِ الفرس فى هذه القضية ، سواء بقصد أم بدون قصد .

لمنذ حقبة من الزمن أبتليت « مصر » بمناخ سياسى واجتماعى حمل معه الحياة للطفليات والآفات ، ولكل ما هو خبيث وضار ، وحمل الموت البطيء لكل ما هو طيب ومفيد .. وكان من بين الشطر الأول المحفوظ فئة عجيبة راحت تنمو وتشتد وتتعافى ، وتتوحد بسرعة عجيبة ، منتهزة فرصة هذا المناخ المثالى لها ، حتى كوّنت طبقة خاصة بها ، سرعان ما انفصلت عن المجتمع الأم ، معنة نولتها المستقلة ، ورافعة رايتها الخاصة بها ، ومشهرة دستورها ..

أنتعلمون ماذا يحوى دستورهم هذا يا حضرات المستشارين ؟

يحوى مادة واحدة !

مادة واحدة فقط تقول : « بالمال نفعل كل شيء ولا مستحيل

علينا ..

وهكذا منحت هذه الدولة الطفيلية نفسها الحق فى فعل أى شيء بأموالها ، فانتقلت تستبج كل ما يصادفها فى دولة الفقراء التى انفصلت عنها ..

انتقلت تستبج عرفهم ، وعافيتهم ، وكرامتهم ، وأعراضهم ، وصولاً إلى أرواحهم ..

وما هذه القضية التى نحن بصدها اليوم يا حضرات المستشارين سوى مثال حى على هذا .

فالمتهم المائل أمامنا اليوم يا حضرات المستشارين ، ولد فى نهر جار من الأموال .. الأب واحد من أكبر عشرة تجار سلاح فى العالم ، والأم سيدة أعمال تمتلك نصف مصرف مالى فى « أمريكا » .. وبالطبع لم يكن فى هذا ما يعيب متهمنا أو ينذر بمشكلة من ناحيته ، ولكن المشكلة ما لبثت أن بدأت بوقاة الأب ،

وبغرق الأم فى أعمالها وأموالها التى ورثتها عن زوجها ، تركة ابنها الوحيد هنا لدولة الفساد ، يتزعزع فيها بأموال أمه ، ويعيث بدستورها فى الأرض فساداً .

وعلى الجانب الآخر يا حضرات المستشارين يظهر فى الصورة شاب فقير مكافح ، يتيم الأبوين ، لم يخرج من دنياه إلا بقلب فتاة طيبة مثله ، ومن نفس ظروفه ، وضعت يدها فى يده ، ومنحته قلبها ليستعين به على شق طريق كريم لهما فى الحياة ، وسط ظروف مضيئة ، شديدة القسوة .

وجمعت الأقدار بين الاثنين يا حضرات المستشارين ..

بين المتخم بنعيم الحياة ، والمكتوى بسعيرها ، ولا يملك سوى قلب طيب أحس به .. فإذا بالمتخم الذى يملك كل شيء ، والمشبع بكل مائد وطاب إلى حد التخمّة يطعم فى الكعكة الوحيدة التى فى يد اليتيم الفقير .. وحينما يحاول هذا اليتيم التمسك بكعكته التى فيها حياته ، يكون عقابه وأد حياته نفسها .

هذه هى الصورة يا حضرات المستشارين ..

صورة فنة اشتدت ، وتعافت ، وطغت ، وافترت ، وصارت
تتخذ بممارسة طغيانها وافترقها .. وليتها تقتري على غرباء ..
بل على إخوة لهم ، كل ذنبهم أنهم فقراء ..

هذه هي الصورة يا حضرات المستشارين .. صورة أدميين
غدوا وحوشاً مسعورة بثراتهم الفاحش ، وبنفوسهم المريضة ..
فاتطلقوا يعمثون في الأرض فساداً ، مستبحين كل ما يصالفهم
حتى أعراضنا وأرواحنا .

هذه هي الصورة يا حضرات المستشارين .. صورة ظلم صار
قانوناً ، وطغيان ظن أنه لا رادع له ..
ولكن لا ..

لا وألف لا ... يا حضرات المستشارين ..

سيظل ميزان العدل منصوباً في يد الرحمن إلى يوم الدين .
وسيظل هناك خلفاء للرحمن في أرضه ، يقيمون عدله إلى أن
يرث الله الأرض وما عليها .

وما أنتم إلا هؤلاء الخلفاء يا قضاة الأرض ، ومدنة العدالة .

وما أنتم الآن إلا في موقف مشهود ، فكلوبنا معكم فيه ..

وارتفع صوت وكيل النيابة الشاب مزلاً القاعة :

- نعم يا حضرات المستشارين .. موقفكم هذا مشهود ..
بشهادة المولى - عز وجل - من فوق عرشه ، وملاكته لينظروا
ما أنتم فيه فاعلون .

فالعدل .. للعدل .. للعدل .. يا مدنة العدل ..

والعدل هنا هو القصاص يا حضرات المستشارين ..

القصاص من وحش مسعور قتل ناعماً بغير حق ..

وحش لم تلغذه نرة رحمة وهو يقتل بغير ذنب ، فلا تلغشنا به
نرة رحمة ونحن نقص منه بنننه ..

ومن هنا يا حضرات المستشارين ، فإن النيابة - وبعد أن
قطعت كل الألية بإدانة المتهم (رامس الشريف المسلحدار) ..
تطالب عدالتكم بتوقيع أقصى عقوبة على المتهم ، وهي الإعدام
شنقاً .

الفصل العاشر

من سواها ؟

(ماجى) !

بجمالها الذى يذيب الحجر ..

بطزاجة أنوثتها المشتعلة ..

بالجنة الموعودة التى تلون عينيها ..

بكل هذا ، من سواها بمقدوره انتشال القاضى الوسيم من طحنة أعصابه التى خرج بها من الجلسة ، وغسله من آثارها فى طرفة عين ، بل وغمره بقطفة طازجة من المسعدة والبهجة والانتعاش ..

انطلقت به هذه المرة بسيارتها « الشيروكى » من أمام المحكمة إلى طريق « القاهرة الإسماعيلية » للزراعى ، وقد أدارت له رائعة « ثومة » « هذه ليلتى » .. تلك الأغنية التى تذيبه متى سمعها ، فما البال وهى تحمل له الآن وعد العمر .. استرخى فى مقعده ، تاركاً نفسه تغتسل بهذا الجمال الغامر ..

جمال الجببية الفتنة المنطلقة بالسيارة ، بينما عيناها تهدهدانه بكل ما فيها من سحر وفنة ووعود .. وجمال شدو « ثومة » الذى يسكر الروح ، وجمال الطريق المغروش على الجانبين بالخضرة المتوضلة بحمرة شمس الأصيل .. شلال غامر من الجمال ، جعه يروح فى إحساس هائى ، حتى رن (موبيله) .. فتحة قبذا بحبيبة قلبه (شيما) .. أسرع يجيبها :

- « شوشو » حبيبتى ! آسف يا قطتى لتأخرى عليك .. أنا مع ماما (ماجى) .. الله يسلمك يا حبيبتى .. لا ، كلى أنت مع جدو ، فسوف أعود متأخراً .. شكراً يا حبيبة بلها .. هاى ..

وأغلق (الموبيل) بسلام ، فقد أسعده صوت قطته الصغيرة ، والتقطت (ماجى) إحساسه الذى أضاع وجهه ، فابتسمت قاتلة :

- نسيت أسالك عن عمرها ..

- أول يناير القادم ستتم السابعة ..

انفلتت دعبتها :

- إنى فقد أعجبت بها وأنت عجز ..

وكان رده بشيء من المروءة :

- تزوجت وأنا القرب الأريحين من عمرى .

شاع الدلال فى نبرتها :

- كنت تنتظرنى ؟

- كنت لتتظر النسيان .

انفلتت منها نظرة تحد مأكرة :

- وهل نسيت !!

وجد نفسه يأملها ملياً بنظرة عميقة تفيض استملاً أكدده

جوابه :

- كنت أعتقد أنى نسيت وها أنا اكتشفت أنى كنت واهماً ..

رقص قلبها طرباً لاعترافه ، دون أن يظهر أثر لذلك على

وجهها ، ولا فى نبرتها ، بل بدت مشفقة عليه وعلى نفسها ،

وهى تسأله :

- إن فالت تعترف بأنه لارواجك ولا إيجاك ، ولا حتى السنوات

الطويلة استطاعوا أن ينسوك حى .

وجاءها الرد بمفتهى الاستسلام :

- نعم .. أعترف .

وكان ردها وهى تغلب دموعها :

- إذن فعليك أن تصدقنى حين أعترف لك أنا أيضاً بأنه

لازولجى ، ولا إيجانى ، ولا السنوات الطويلة التى باعدت بيننا

استطاعوا أن ينسونى حيك .

يا له من اعتراف !!

اعتراف وقع فى قلبه .. فى أعماق أعماق قلبه كقطرة رحيق

مصفى تحمل للفرحة والأمل وشهد للحياة .. وجد نفسه يعانقها

بعينية بكل ما فى القلب من حب ومن حنين .. وتحركت يده

محتضنة يدها تبشها خلق للقلب ، وللمح الحنين .. حنين قلب كواه

لقطاً ثلاثة وعشرين عاماً ، ثلاثة وعشرين عاماً بكل ما فيها من

أيام ومن ليل ومن ساعات .. وغابت عينا القاضى الوسيم العاشق

فى عناق عيني الحبيبة الفتاة ، حتى أفاقا على سريئة سيارة

مرقت بجوارهما ؛ تنفلت منهما ابتسامتهما تحملان خجلهما

ونشوتهما ..

كانا قد بلغا طريق قناة السويس الممتد بمحاذاة القناة ، رابطاً
أوصال منها الباسلة من « بورسعيد » شمالاً إلى « السويس »
جنوباً .. وكان قرص الشمس قد سقط خلف خط الأفق مخلفاً أثراً
حمرته الملتبها فوق الحقول الخضراء الممتدة على يمين الطريق
لترسم لوحةً طبيعيةً رباتيةً بدیعة ، راح القاضى الوسيم يروى
عينيها منها لبرهة ، ثم التفت نحو القناة على يساره ، ليرتوى
بجمالها هي الأخرى .. فقد كانت جميلة حقاً بصفتها الفضية
الرفيقة الوداعة .. وكعادته كلما قلته الظروف إليها ، وجد
نفسه يتذكر شقيقه الأكبر الذى استشهد فى حرب أكتوبر .. ثلاثة
وثلاثون عاماً مضت على استشهاده ، ولم ينمه يوماً - ما عاد
يتذكر أولئك الذين اقتنصوا أعظم انتصارات « مصر » على
الإطلاق بأرواحهم ودمساتهم سوى ذويهم .. تحركت شفتاه
متعممةً بالفاتحة على روحه ، وما أن أتمها حتى كانت للحبیبة
الغائنة تستدعيه من شروده :

- ها الذى أخذك منى يا حضرة القاضى الوسيم !!

- أخى المقدم (فتحى) الله يرحمه .

رہنت على يده مواسية :

- كل هذه السنوات ، وما زلت متأثراً بوفاته ؟

- تقصدین استشهاده .

قلها بلهجة تحمل عتاباً واضحاً ، جعلها تسارع بالاعتذار له
على الفور !

- أنا آسف يا حبيبى .. خاتنى التعبير .

أجابها مبتسماً :

- لا عليك يا حبيبتى .

ومد يده فى جيبه مستخرجاً علبة سجائره .. أشعل سيجارة
وراح للحظات مع دخانها ، حتى قطع عليه شروده صخب
مجموعة من الشباب والفتيات ، يقفون ويرقصون فوق بخت أنيق
يتهاذى فوق صفحة القناة .. توقف بعينيها وبشروده عليهم ،
حتى سمع (ماجى) تقول :

- بخيل إلى أن مصرى أكتوبر كانوا آخر المصريين الذين

نقرأ عنهم فى كتب التاريخ .

التفت إليها مستغرباً العبارة :

- عفوا يا (ماجى) .. ماذا تعنين ؟

- أعنى أنه لو نشبت حرب الآن لن يكون لدينا محاربون أمثال محاربى أكتوبر ، ولا جبهة شعبية رقعة مثل التى وجدت آنذاك .

صدم القاضى :

- أنت ترين هذا ؟

أشارت بعينها إلى الرافضين والرافضات فوق الليخت :

- ها هو واقع الحال يا سيادة المستشار .

انفلت منه تسأوله مشحوناً بالسخرية :

- واقع الحال ؟! وهل واقع الحال فى هؤلاء يا (ماجى)

هقم ؟

ولأخذ نفساً من سيجارته ، ثم أرفف بجيب لها سؤاله بنفسه :

- واقع الحال يا (ماجى) فى الناس الذين يصلون ليلهم بنهارهم

عملاً .. أيا كانت مواقعهم .. فى الناس التى تقاتل صعوبة الأيام

التي تعيشها .. فى الناس التى اعتصرتها أطول أزمة اقتصادية

فى تاريخنا ، ومع ذلك لم يهن عزمها ..

واقع الحال يا (ماجى) ليس فى هؤلاء الذين يملكون كل شيء ولا يقطعون ليلهم شيئاً ، بل فى الذين لا يملكون شيئاً بالمرّة . ومع ذلك لا يتوقفون عن العطاء .

ولم تستطع بنت الذوات تمالك تسأولها الذى فضح عدم اقتناعها بما تقول :

- كيف يا سيادة المستشار ؟ كيف يعطى من لا يملك ؟

وكان ردُّ المستشار عليها بمنتهى الهدوء :

- سأخبرك كيف يا (ماجى) بمثل حقيقى مائة فى المائة ..

أعرف مصارعاً شاباً حصل على سبع جوائز محلية ودولية وفى الوقت ذاته يعمل نجار مسلح ، كى يستطيع تدبير نفقات هذه الرياضة المعروفة بتكاليفها الباهظة .

ضرب الانبهار بنت الذوات :

- معقول !

- نعم .

- لو ما يزال يفعل ذلك ؟

- نعم .. بل ومُصيرٌ على بلوغ العالمية بطروقه هذه .

ولم تستطع بنت الذوات كبح جماح قنبرها الذى طغى ، ولم تستطع منع تساؤلها :

- أيمكننى معرفته .

وكان ردُّ القاضى فى إجلال متناهٍ للبطل القلب :

- لا طبعاً ، فهو يصل بهذه الحرفة متكرراً .

وإذا بمداعبتها الجريئة :

- آه لو عرفت له طريقاً ؛ لتحفظت عليه فوراً .

وإذا بضحكة القاضى الوسيم تنقلت منه ، ثم يجيبها قلقاً :

- لو حدث هذا ما صار بطلاً إلا عليك .

وجنجلت ضحكة بنت الذوات بأنوثة حارقة .. فالأنثى هى الأكثرى مهما اختلفت البيلات ..

حتى هذه اللحظة لم يكن القاضى الوسيم يعلم إلى أين تأخذه هذه الفتاة التى اختطفته من أمام المحكمة .. وحينما اقتبه إلى

ذلك « أسرع رسائلها مندھشاً من نفسه لعدم سؤاله لها ، رغم أنها تتطلق به منذ ما يزيد على الساعة ونصف ، وكان ردها مبتسمة ، ومندھشة هى الأخرى لأمره :

- تسألنى بعد أن وصلنا ؟

وتوقفت أمام فيلا بنية أنيقة منتصبة فى خيلاء على ضفة القناة ، بمنخل بلدة « كسبريت » .. ضغطت كلاكس السيارة ، فالتفتحت بوابة الفيلا الضخمة ، بواسطة حارسين شابين فى غاية الإناقة .. مضت بالسيارة فى ممر طويل محفوظاً بحديقة آية فى الروعة ، يتناثر فيها ما يقرب من نصف الدسنة من الحرس الأتقيين المسلحين ، موزعين على مسافات متساوية .. توقفت أمام الباب الداخلى للفيلا ، فأسرع لثنان من الحرس بفتح بابى للسيارة للضييفة الفاتنة ورفيقها بمنتهى الاحترام ؛ وليقوداهما إلى داخل الفيلا ، بينما القاضى الوسيم يجاهد فى إخفاء دهشته وفضوله بوقاره ورسائته .. ولكن داخل الفيلا كفت المفاجأة الثقيلة التى أطلقت بكل قيود دهشته .. إنها شخصية صاحب الفيلا الذى أقبل عليهما مرحباً بمجرد دخولهما بهوها الرئيسى :

- معقول !

هكذا انطلقت هتفة القاضي الذاهلة داخل نفسه ، و (ماجى) تقدمه للرجل الذى يمثل ركنًا رئيسيًا من أركان الدولة :

- سيادة المستشار (جلال عبد الباسط) .

وكان ردُّ الرجل المهيب باسمًا ، وهو يمد يده للقاضى الوسيم مصافحًا :

- أهلاً سيادة للمستشار - حمدًا لله على السلامة .

ولم يعرف القاضى الوسيم كيف خرج رده من شفتيه :

- الله يسلمك يا أئندم .

ونظرت (ماجى) بعينها الفاتنتين الباسمتين إلى القاضى المذهول ، قليلة فى تبسم :

- وطبعًا يا سيادة المستشار سيادتك تعرف الباشا .

ولم يملك القاضى لها جوابًا سوى ابتسامة ذاهلة ، فتشمله منها الباشا قائلًا :

- تفضل .

وقادهما إلى الصالون المطل على مياه القناة عبر شرفة زجاجية ضخمة ، حيث دعاهما إلى الجلوس « وجلس هو قبائلهما مرحبًا ، فأجابه بالشكر ، ثم التفتت (ماجى) إلى القاضى الوسيم تشاكسه بمسؤولها :

- ما رأيك فى هذه المفاجأة يا سيادة المستشار ؟

وكان ردُّ المستشار بدهشته التى لم تبرحه :

- وصف مفاجأة هنا لا يكفى يا (ماجى) هاتم .

وكان ردُّ الباشا مداعبًا :

- المهم أن تكون مفاجأة سعيدة يا سيادة المستشار .

وكان ردُّ المستشار :

- بل هى وسام على صدرى سأقتل أفخر به طفلة حيلتى يا معالى الباشا .

وكان ردُّ الباشا ببشاشته الحلوة :

- بل إنه شرف لى أن التقى بواحد من قضائنا الذين نفخر

سؤال مرقى في بئر القاضي ، ولكنه سرعان ما ألقى منه على صوت خادمة الباشا الفلبينية :

- السفرة جاهزة يا باشا .

ونهض الباشا مصطحباً ضيفيه إلى المائدة الحافلة ، والتي بدت بضخامتها وصنوفها وكأنها وليمة احتفال ، لا مجرد مأدبة عادية - وأجنسهما الباشا ، وجلس هو في صدر المائدة قائلاً لهما بلهجة الراقية :

- تفضلاً .

ومن المائدة الحافلة إلى الصالون البحري الفاخر مرة أخرى ، حيث راح كل منهم يتناول مشروبه لذى طمبه ، ودون أن يهمد سؤال القاضي الموسم بدخله ..

ما الحكاية ؟

ولكن السؤال المشاكس فجأة توقف .. أوقفته (ماجى) بقولها للقاضي الموسم :

- طبعاً يا سيادة المستشار الوسيم سيادتكم منذ وصولنا إلى هنا وأنت تضرب أحياناً في ألداس عما وراء هذا الذى يحدث .

- شكراً يا باشا .

وعادت (ماجى) تقول للقاضي :

- بقى أن تعلم يا سيادة المستشار أن الباشا كان صديق العمر لبابا - الله يرحمه - . ويعتبرنى ابنه له .

وكان رد الباشا قبل أن يطلق القاضي بشيء .

- بل أنت ابنتى فعلاً يا (ماجى) .. وأنا ، ومنصبى ، وكل ما أملك ملك لك .

وكان رد (ماجى) :

- وأنا ليس عندى أدنى شك فى هذا يا باشا .. وفخورة به ..

شيء ما استوقف القاضي ، وحرك فيه شعوراً غامضاً ، وهو أن (ماجى) وهى تجيب الباشا بهذا كانت تنظر إليه هو ، لا إلى الباشا ، وكأنها تبحث نه عبر نظراتها برسالة ما .. بل إن عبارة الباشا الأخيرة له (ماجى) فاحت منها رائحة نفس الشيء ..

ما الحكاية ؟

وكان ردّ القاضى مكابداً لهفته برصانته :

- بكفينى شرفاً وجودى معك أنت والباشا يا (ماجى) هاتم .

وكان ردّ الباشا برفقه :

- بل الشرف لنا نحن يا سيادة المستشار .

وعادت (ماجى) تكمل حديثها للقاضى :

- أنت هنا يا سيادة المستشار لتطلب يدى من الباشا .

!!!!!!!!!!!!

قنبلة !!

لقنبلة خرافية دوى انفجارها داخل المستشار . مبهتراً شظاياها فى انحاء كياته ، مفجراً كافة براكين ذهوله ، وجاعلاً عينيه تتسمرن على وجه المرأة الفلانة العجيبة ، فإذا بلامحها جادة ، تؤكد ما قالته ، وإذا بعينها تتطلعان إليه انتظاراً لرده - التفت إلى الباشا ، فإذا به هو أيضاً يتطلع إليه بعينين ناقتين متساثلتين . وهو يسحب نفساً متئباً من سيجارة الكوبى الفاخر .. عاد بنظراته المصلوبة بذهولها إلى وجه (ماجى) ، فإذا بوجهها قد انطفأ انكساراً ، وإذا بها تقول بكل خذى وألم النادم :

- هاتنا يا (جلال) أرد لك حقك الذى فى عنقى .. فذات يوم بعد ارتكبت سقطة عمرى بأن خذلتك وتخليت عنك ، واليوم أنا أعرض نفسى عليك ، فإذا ما قبلتني كنت أسعد امرأة فى الوجود ، وإذا ما رفضتني ...

ولم تكملها ، فقد أسرع (جلال) بمقاطعتها راجياً :

- لا يا (ماجى) .. لا تكملها .. بل إنه لشرف لى أدفع فيه عمرى مهراً ولا يكفى .

وإذا بالباشا هو الذى يجيبه :

- بل مهرها أبسط من هذا بكثير يا (جلال) بك .

وكان ردّ القاضى فى لهفة :

- ما هو يا باشا ؟ أأمرنى .

- ابنها !

فوجئ القاضى ، ولم يفهم :

- ابنها ؟!

- نعم .. ابنها الوحيد .

عاد القاضى يتساءل بدهشة :

- وهل لها ابن ؟

راح الباشا يأخذ نفساً طويلاً من سيجاره ، ثم كان جوابه للقاضى ، وعينه ترتقبه بتركيز من وراء النخان الذى نفثه :

- (رامى شريف المسلحدار) !

ردد القاضى الاسم كأنه سبق له سماعه ، ثم إذا به ينتفض كم لدغته عقرب ..

- (رامى) الذى

وكان جواب الباشا بمنتهى الهدوء :

- نعم (رامى) الذى تحاكمه .

حجر ..

حجر خرافى كأنه نيزك عملاق من جهنم سقط على رأس القاضى ، جاعلاً عينيه تضحضان فى الباشا بذهول يكاد يبلغ شفا الجنون ، وجاعلاً لساقه ينقعد داخل فمه ، عاجزاً عن النطق بحرف ..

وها هو للقاضى الذى كان قد ظن نفسه قد بلغ باب الجنة منذ لحظات ينهض بمنتهى البطء والذهول ، وقد حط عليه كل غم للدنيا وكربها .

وها هو كل ما فيه ينقعد بالصنمة ..

عقله ..

قلبه ..

حواسه ..

وكل ما فيه ..

وبالكاد تحركت عيناه إلى وجه (ماجى) متسائلتين بذهولهما الجنونى ، فإذا به يرى وجهها كأنه قطعة من ضباب .. فحتى نور عينيه انعقد ، فالتقلب كل شيء أمامه ضباباً فى ضباب ..

وحتى (ماجى) والباشا ذاتهما فوجئا بحالته هذه ، وبديا وكأنهما لم يكونا يتوقعاتها ، فالتفتا إلى بعضهما متبادلين نظرة قلق ، أسرعت على أثرها (ماجى) تمسك بالقاضى منادية بمنتهى القلق !

- (جلال) !

وبالكاد التفت إليها القاضي مرة أخرى ، ليتفرسها بنظرة طويلة ، هاجت فيها عشرات الأسئلة المؤلمة الذاهلة ، لخصها كلها في سؤال واحد لها :

- لماذا ؟

وكان ردُّ (ماجى) أن سارعت بالانكفاس إلى الباشا مستجدة به ، فإذا به هو الذى يجيبه :

- لأنها أم يا (جلال) بك .

وتضاعف ذهول القاضي :

- أم ؟؟

- نعم يا سيادة المستشار ، أم ، وتريد أن تنقذ ابنها الوحيد من حبل المشنقة .

وكاد القاضي يجن ذهولاً :

- بهذه الطريقة ؟؟ بهذا الخداع للحقير ؟؟

هنا انطلقت هتفة (ماجى) فى فرع :

- لا .. لا يا (جلال) .. لم يكن خداعاً .. لم يكن خداعاً .

واتفجرت دموع السيدة مع كلماتها ، وهى تتقدم منه بتهدأها :

- أسمع لك يا (جلال) بأننى لم أخدمك للحظة واحدة .. كل جملة .. كل كلمة .. كل حرف خرج من شفتى كان صادقاً ، وكان يعبر عن حبنى لك .. لذا لا أكرر أن عودتى كانت فعلاً لأجل ابنى .. ولكن بمجرد أن وقعت عيناي عليك - وجدت حب السنين كله يصحو فى قلبى دفعة واحدة .. ووجدت قلبى يطير إليك رغماً عنى ، ورغم حزنى وفرعى على ابنى .. وهذا هو الذى أربكنى .. فلم أعرف كيف أتصرف .. قلبى انشطر بينك وبين ابنى الوحيد .. وعطلى أيضاً انشطر بينكما .. هو ابنى وأنت حبيبى .. وخوفى من أن أفقد أحكما أو أفقدكما معاً .. وخوفى من رد فعلك ، وأنت تملك رقبة ابنى فى يدك .. وخوفى من هذا الموقف الذى أنا فيه الآن .. كل هذا الخوف هو الذى أعجزنى عن مصارحتك بالأمر يوماً بعد يوم ، حتى وجدت نفسى أمام اللحظة الفاصلة ..

هذه هى الحقيقة يا حبيبى ..

أقسم لك بأن هذه هي الحقيقة ..

أبداً لم يكن حبي لك خداعاً .

أبداً لم أمثل عليك الحب ..

ولم أكذب عليك في حرف ..

ولم أخدعك للحظة ..

أنا فقط ارتبكت كام .

أم فوجئت بابنها الوحيد معرضاً للشئق .

وفوجئت بأن نجاته في يد حبيبها الذي جرحته جرح العصر ..

فماذا كنت أفعل ؟

ماذا كنت أفعل ؟

وإذا بالسيدة تهوى على قلمي القاضي تريد أن تقبلها ، وهي

تنتحب مرددة :

- ابني وحبيبي ..

ابني وحبيبي ..

ابني وحبيبي ..

ومضت ترددها كالنذيان ، حتى ضاع صوتها في هدير بكائها ،
بينما تجمد القاضي والباشا في مكثيهما ، وهما يحذقان في
بعضهما ، وقد اتخلع قلوبهما من ضراوة الموقف ..

وعاد القاضي إلى منزله .. دخل الشقة مع آذان الفجر ، لا شيء
يربطه بالحياة سوى صوت (ماجي) الباكي .. يظن في أذنيه
كطينين التحل :

- ابني وحبيبي ..

ابني وحبيبي ..

ابني وحبيبي ..

تهوى جالساً بأول مقعد صاذه في الصلاة ، ليتفاجأ به أبوه
وهو يخرج من غرفته للصلاة ، ولتتعلق منه هفتته الدهشة :

- ما هذا ؟! (جلال) ! متى عدت ؟

ولم يتحرك - (جلال) ساكناً ، بينما فوجئ الأب باحتقان وجه
ابنه وكأنه يشئق ، فاتخلع قلبه جزعاً عليه :

- (جلال) حبيبى ! ماذا بك ؟!

ورفع القاضى عينيه إلى أبيه ، فإذا بعذاب العالم كله يهدر فيهما ، مما جعل الأب يعاود هتافه فيه بمنتهى الفزع !

- (جلال) ! ماذا هناك ؟!

وإذا بجواب (جلال) وكأنه يحتضر :

- أتركنى قليلاً مع نفسى يا بابا .

وفوجئ الأب :

- كيف أتركك وأنت بهذه الحال ؟ كيف ؟

- أرجوك يا بابا .. أرجوك .

ولم يملك الأب إلا الاستجابة ، استددار ماضياً إلى المسجد ، وهو يدعو بلطف الله .

أربعة أيام ، و (ماجى) تكاد تجن .. (موبائل) حبيبها معلق ، وتليفون منزله لا يحمل لها سوى جواب واحد من أبيه :

- سيادة المستشار مسافر يا ابنتى .

حتى فوجئ بها الحاج (عبد الباسط) تفتح عليه الشقة ، لتقبل يديه بالدموع كى يخبرها أين هو ، فلم يملك الرجل إلا أن يصارحها بأن أبنه لم يغادر غرفته منذ أربعة أيام إلا من ساعة واحدة فقط ، فكان سؤالها بالدموع :

- ولين ذهب ؟

- ذهب إلى مكتب النائب العام :

وما كاد الرجل يتم جوابه حتى كانت (ماجى) تنطلق إلى سيارتها ، لتقفز بداخلها ، وتنطلق بها كالمجنونة ، ومن السيارة جرياً إلى دار القضاء العلى لتفاجأ بالقاضى نزلًا المسلم .. وتجمدت أمامه ، تحديق فيه بنظرة الموت التى تحمل تساؤلها المفزوع عما أقبل عليه ، فإذا بجوابه لها بمنتهى الهدوء :

- تحيت عن نظر القضية يا (ماجى) هاتم .

وفقر فاه المرأة من الصدمة ، بينما أردف القاضى لها بكل أسف :

- للأسف يا (ماجى) هاتم .. مهرك كان غالياً على ..

مهرك لم يكن ابنك ..

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة:

- 37- لن أعود .
- 38- عشريكان .
- 39- أنت قدوس .
- 40- بلا أمل .
- 41- أحلام ضائعة .
- 42- أبي المحبوب .
- 43- الحانجل .
- 44- دن أسكتك .
- 45- ستيلى فى قلبى .
- 46- أحبيبتك فى صمت .
- 47- رجل وفيلان .
- 48- الحب الوردى .
- 49- الحب والأشجار .
- 50- وابستمت الحياة .
- 51- لقاء الأنفوس .
- 52- عودة القلب .
- 53- أمواج الحب .
- 54- مئة دقعة .
- 55- الحفر لى .
- 56- لقاء فى القلوب .
- 57- جدار الماضى .
- 58- لئلى أحبك .
- 59- الأسيرة .
- 60- مريحاً بالحب .
- 61- شععة لا تطفئ .
- 62- لا ترحلى .
- 63- نعمة حب .
- 64- الضيقان .
- 65- لوجه الدمع .
- 66- غفلات قلب .
- 67- جراح الماضى .
- 68- ميمى الوعدية .
- 69- آلام الحب .
- 70- حبات خلد .
- 71- رجل أحبيبت .
- 72- نوع الحب .
- 73- مشاعر دافئة .
- 74- أشواق الحب .
- 75- نين لهى .
- 76- قلوب حائرة .
- 77- وداعاً للجد .
- 78- لقاء جميلة .
- 79- قسوة وطهران .
- 80- ليس من أجل .
- 81- سعادة صيف .
- 82- زهرة برية .
- 83- زهرتى الجميلة .
- 84- أبستمت للقد .
- 85- لعبة الزمن .
- 86- شاطئ الأمان .
- 87- فجر جديد .
- 88- حب وحرمان .
- 89- ليل ونهار .
- 90- سائقك دافئة .
- 91- بعد الانفجار .
- 92- حب بلا موعد .
- 93- زواج العصر .
- 94- القرار الصعب .
- 95- معنى السكوت .
- 96- يسار .
- 97- الحفر يا قلب .
- 98- الحفرة .
- 99- ملك الحب .
- 100- أزمة منتصف العمر .
- 101- رزود وأحجار .
- 102- التورس الحزين .
- 103- رحلة الأنوار .
- 104- أحسان .
- 105- زهرة جيتك .
- 106- الأمل! انتقلنا !
- 107- نين الروح .
- 108- البوردة البيضاء .
- 109- قلوب فى الصحراء .
- 110- أغلى من الحب .

مهرك كان شرف القضاء ..

وشرف القضاء لا يقاوض ولو بحب الصر يا بنت
الأكابر ..

ومضى نازلاً المسلم بشموخ العظماء ، تاركها خلفه تنهاوى
جالسة فى مكتبها منكفئة برأسها على يديها ، وقد انفجر
بكأوها .

(تمت بحمد الله)

فوزى عوض



السلسلة الوحيدة التي لا يجد الحب
أو الأم حرجاً من وجودها بالمثل

فوزى يعرض

أغلى من الحب !

وأردف القاضى لها بكل أسف :
- للأسف يا هانم .. مهرك كان
غالياً على .. مهرك لم يكن ابنك ..
مهرك كان شرف القضاء .. وشرف
القضاء لا يقايض ولو بحب
العمر يا بنت الأكابر ..

110



المؤسسة
العربية للطباعة

لقد تم النشر والتوزيع بالكويت والإسكندرية

التمن في مصر 300

وما يماثلته بالدولار الأمريكى
في سائر الدول العربية والعالم